٦

كتاب التحرير
السياسى

آسيا المعاصرة

العاصفة

الجزء الخامس

تأليف:
البروفسور رومين
ترجمة
أحمد فوزى عطا الله

٦
كتاب التحرير
السياسى

آسيا المعاصرة
العاصفة

تأليف :
البروفسور رومين
ترجمة
احمد فوزى عطا الله

سلسلة كتاب التحرير السياسى

اشراف وتقديم
عبد العزيز فهمى

تصدر عن دار التحرير
للطبع والنشر

رئيس مجلس الادارة
كمال الحناوى

تصميم الغلاف بريشة
الفنان حسن فؤاد



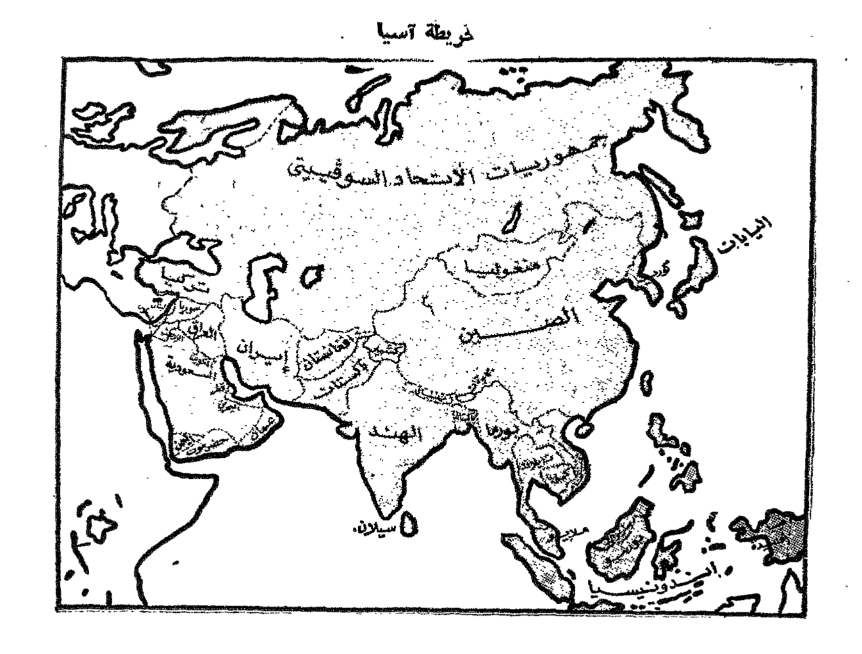
الرئيس جمال عبد الناصر

ان السـلام لا يمكن ان يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفـاوتا مخيفا •

« الميثـاق الوطنى - ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ »

فهـــرست

خريطة آسيا



جمهوريات الاتحاد السوفييتي
منغوليا
الصين
اليابان
كوريا
تركيا
سوريا
العراق
السعودية
إيران
أفغانستان
الباكستان
الهند
بورما
سيلان
أندونيسيا

تقـــديم

بقـــلم

عبد العزيز فهمى

لا تزال الحرب العالمية الثانية : أسبابها ، ونتائجها ، وحوادثها ، تشغل بال الباحثين في هذا العصر المليء بالشوق الى السلام والمفعم بالخوف من وقوع حرب عالمية جديدة تستخدم فيها هذه المرة أسلحة التدمير الشامل .

وفي هذا الجزء من كتاب آسيا المعاصرة ، يقدم المؤرخ رومين سجلا رائعا حقا لاحداث الحرب العالمية الثانية فى مسارحها وميادينها المتعددة فى أوروبا وافريقيا وآسيا ، ويرسم صورة دقيقة التفاصيل لكل ما وقع اثناء هذه الحرب الرهيبة من تطورات ، ويقدم الوثائق والبيانات التاريخية الكاملة لكل ما عقد من معاهدات واتفاقات بين كل فريق من الفريقين المتحاربين . ويروى فى الوقت نفسه كيف ان الشعوب الاسيوية والافريقية استفادت بعض الشيء من تجاربهـــا فى الحرب العالمية الاولي ، فكانت وهى تقدم المساعدات المادية والادبية فى الحرب ضـد الفاشية والنازية ، حريصة على أن تتم حركتها الاستقلالية وأن تظفر بحريتهـا من الاستعمار .

ولكنه يكشف في الوقت نفسه الصراع الذى كان والذى ظل بين الاستعمار وبين الحركات الوطنية والاستقلالية .

وان ما قدمه المؤرخ من بيانات عن العواقب الوخيمة التي اصابت الإنسانية من جراء الحرب العالمية الثانية ليؤكد من جديد ضرورة الدفاع عن قضية السلام، وضرورة العمل على منع الحروب ، ان « العاصفة » التى اجتـاحت البشر فى سنوات الحرب العالمية الثانية كفيلة بأن يحرص الانسان دائما علـى أن يهيىء لنفسه جوا خاليا من مثل هذه العواصف .

عبد العزيز فهمى

١

الحرب العالمية الثانية : نظرة عامة

أدت الحـــرب العالمية الثانية الى تحرر دول كثيرة من سيطرة الاستعمار الغربى . وليس من شك أن الحرب أمر مؤسف ، ولكنها تستطيع أن تعطى السياسى بصيرة أعمق فى الأحداث التى تصنع التاريخ .. أليس من الأمور الطريفة أن نرى كيف أن ماضى دولة مثل المانيا ولكنه لم يكن له كله بالنسبة لآسيا الا اهمية ضـئيلة ، أصـــبح عن طريق الحرب واحدا من أهم العـــوامل فى تطـور الشرق ..؟

ان الحروب والثورات ليست الا أزمات تواجه التطور التاريخى .. والحروب الحديثة ليست انفجارات بربرية للرغبة فى القتل ، والكراهية العمياء ، ولـكن بالأحرى كما قال كلوزوفيز فى بـداية القرن التاسع عشر (الحروب استمرار للدبلوماســية السياسية بوسائل أخرى : وسائل حربية) ..

وهكذا ، فان الحروب ، مثل السياسة ، تشتمل على عوامـل منطقية كثيرة ، حتى ولو دخلت الحروب وأسبابها فى مجـــال اللامعقول .. لذلك فان الحرب لها تكوين محدود ، والدارس لهـا يدرك كيف أن خطا احمر يربط ما بين احداث تبدو للعيان كأنهـا منعزلة بعضها عن بعض ، واحداث لا يمكن فهمها الا اذا عالجنـا الحرب ككل ..

وليس من السهل قط الاجابة على السؤال القـــائل من بدأ الحرب ؟

ان الحرب ليست سوى أزمة في العلاقات الدولية تكاد تنشأ غالبا من أحداث وقعت في الماضى ، وتشمل دولا مختلفة .

فان التهديدات والاهانات والتغيرات الاقتصادية والاستعمار ، ليست هي التي تؤلف الحرب ، ولكن يمكن أن تكون هي الأصل في الحروب ، ومع ذلك فمن وجهة النظر الفنية الضيقة ، يجاب بسهولة غالبا على السؤال عمن بدأ هذه الحرب فيقال أن الذى بدأ الحرب العالمية الثانية في أوروبا هو المانيا وايطاليا وأن الذى بدأها في آسيا هو اليابان ..

لماذا ؟ انه بالرغم من تطور ألمانيا الكبير في الميدان الصناعى ، وبالرغم من كل مجهوداتها لم يكن لها أية ممتلكات في افريقيا وآسيا ، مثلما كان للدول الغربية . فان الامبراطورية الالمانية الحديثة لم تتكون الا في سنة ١٨٧١ وهكذا دخلت مجال الاستعمار في وقت متأخر جدا وآلت المناطق القليلة التي امتلكتها ألمانيا في افريقيا وفي المحيط الهادى حوالى سنة ١٨٨٥ الى كل من فرنسا وبريطانيا واليابان سنة ١٩١٩ ، وقد وضعت تسوية فرساى نهاية لأحلام الرايخ الاقتصادية والتوسعية ولطابعها الخاص كدولة استعمارية وكان هذا هو السبب الموضوعى للمرارة التي يشعر بها كثير من الألمان وللرغبة في الانتقام ، والحلم بأن تجد ألمانيا في حقول القمح ومناجم المعادن في أوكرانيا واقليم البترول في القوقاز مالم تستطع أن تحصل عليه من أى منطقة أخرى . وفي الوقت نفسه كانت الطبقة البورجوازية الألمانية تخشى الحركة الاشتراكية التي كانت في ذلك الوقت منظمه الى أعلى الدرجات ويبدو من جميع مظاهرها أنها قوية جدا ، ومن هذا المزيج من المشاعر نمت دكتاتورية هتلر القائمة على الاشتراكية القومية (من سنة ١٩٣٣ - ١٩٤٥) وكان يغذيها الشعور بالمرارة ويؤيدها رجال الصناعة في منطقة الروهر برءوس أموالهم (تليسن وكروبي

وفارين) كما تؤيدها الطبقة الارستقراطية شبه الاقطاعيـــة من ملاك الأراضى ، واذ استغرقت ألمانيا الهتلـــرية فى الحلم بمجـد ألمانيا وعظمتها وأعماها الجنـــون بتفوق الجنس الجرمانى ، فانها بدأت السير فى طريق الحرب •

وقد نالت المانيا الهتلرية الشيء الكثير بمجرد التهديدات ،يكفى أن نذكر اعادة احتلال منطقة الراين فى مارس ســنة ١٩٣٦ ، أى حينما ضمت ايطاليا الحبشة اليهـــا ، والتدخل فى الحرب الأهلية الاسبانية ، (١٧ يوليو سنة ١٩٣٦ ـ أبريـــل سنة ١٩٣٩) • واحتلال النمسا (١٢ مارس سنة ١٩٣٨) والاســتيلاء عـلى تشيكوسلوفاكيا وتصفيتها (سبتمبر سنة ١٩٣٨ ومارس ســنة ١٩٣٩) •

ومع أن بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة قد احتجت على ذلك ، فانها قبلت التوزيع الجديد ••

وفى صيف سنة ١٩٣٩ ، طالب هتلر بجزء من غرب بولندا ، حيث يقطن كثير من الألمان ورفضت وارســـو ، وأنذرت كل من لندن وباريس ولكن دون جدوى ففى الســاعة ٤٫٤٥ من مساء يوم الجمعة الموافق أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، غزت قوات هتلر بولندا • وارتعدت أوروبا ، فقد انطلق الوحش الكاسر من اساره •

وفى اليوم الثالث من سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا حيث كان الارهاق قد أصابهما من نهم المانيا وازدواج معاملاتها ••

وهكذا بدأت الحرب العالمية الثانية ، وقاتلت بولندا وحدها ، ذلك أن الجيوش الفرنسية والبريطانية كانت متجمعة فى الغرب فى أمان تام خلف الاستحكامات الفرنسية المحصنة ، بينمـــا أعلنت هولندا وبجليكا حيادهما ونزفت بولندا دماءها حتى المـــوت أمام الخبرة الفنية للقوات الألمانية فى القتال ، تلك الخبرة التى أصبحت

الآن من الأمور التاريخية وان تكن حينذاك جديدة تقوم على الربط بين الطائرات والدبابات وفرق المشاة الميكانيكية التي يقال عنهـــا عنها فرق العاصفة ، ولم تمض سوى بضعة أســـابيع حتى كانت القوات الألمانية قد وصلت ضواحي وارسو ، التي استسلمت في ٢٧ سبتمبر بعدما قصفت بالقنابل قصفا رهيبا .

وعندئذ حدث أمر جدير بالملاحظة فقد اقتسمت كل من ألمانيا وروسيا بولندا ، وكان ذلك تكرارا خبيثا للتقسيمات البشعة التي حدثت في القرن الثامن عشر والتي تسببت في اختفاء مملكة بولندا العظيمة من خريطة العالم وان تكن أعيدت سنة ١٩١٩ بصورة أصغر كثيرا .. وتفسير ذلك أن ألمانيا وروسيا وقعتا بموســكو في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٩ معاهدة عدم اعتداء ، وقعها هتلر لخوفه مــن خوض الحرب في جبهتين كما حدث لألمانيا سنة ١٩١٤ ، ووقعهـــا ستالين خوفا من ألا تجيء المســـاعدة البريطانية والفرنسية اذا هاجمت ألمانيا روسيا ...

واحتلت القوات الروســـية بولندا الشرقية ، للاسباب نفسها التي من أجلها نشبت الحرب الروسية الفنلنـــدية (٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٩) الى (١٢ مارس سنة ١٩٤٠) كما احتلت المنطقـــة الروسية السابقة الواقعة بين لينينجراد وبولندا على بحر البلطيق (١٥ يونيو سنة ١٩٤٠) وذلك لحاجة روسيا الى تأميـــن الحدود الغربية لروسيا ضد أي هجوم من ناحية ألمانيـــا وهو هجوم كان متوقعا بالرغم من توقيع المعاهدة .

وأرسلت بريطانيا قوة عاجلـــة الى فرنسا . وفيما عدا ذلك وقفت بريطانيا وفرنسا في حالة ترقب ، فربما يسعى هتلـــر الى الاستيلاء على أوروبا الشرقية وعلى أوكرانيا ومن ثم يترك الغرب وشـــأنه .

وفي يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ ، غزت القوات الألمانية بلجيكـا

ولوكسمبرج وفرنسا واستسلم الجيش الهولنــــدى فى ١٤ مايو ووصلت الدبابات الألمانية ساحل بحر الشمال عند ايفيل فى ٢١ مايو ، ثم استسلم الجيش البلجيكى فى ٢٨ مايو •

وفى الفترة مابين يوم ٢٦ مايو و ٤ يونيو ، أجلت بريطانيـــا ٣٥٠ ألف جندى من ميناء دنكرك وكان ثلث هذه القوات من الجيش الفرنسى •• وتركت القوات البريطانيـــة وراءها فى فرنسا ٧٠٠ دبابة ، و ٥٠ ألف لورى •

ولم يبق لبريطانيا بعد ذلك الا مائــة دبابة ••

وبدا أن الغرب قد انهزم كلية • ودخلت القوا تالألمانية فى ١٤ يونيو باريس وفى باطنها روح عاليـــة وعلى وجوهها شراســة واستسلمت فرنسا فى يوم ٢٢ من الشــهر نفسه • ولم يبق حرا الا الجزء الجنوبى الشرقى من فرنسا ولكنه خضــع لسيطرة حكومة فاشتسية برياسة مارشال بيتان ، الذى دافع عن فيردون وباريس فى الحرب العالمية الأولى • وسعى هتلر بمساعدة هــــذه الحكومة الفرنسية (المستقلة) فى فيشى لحماية المستعمرات الفرنسية فى افريقيا من أى هجوم بريطانى محتمل •

ولكن الأمر الــــذى كان يتوقعه كل فرد حينئذ وهو غزو ألمانيا لبريطانيا أو عملية (أســـد البحر) كما كان يقال عنها فى الخطط الألمانية ـ لم يحدث وبدا واضحا ان ألمانيا لم يكن لديها مايكفى من سفن وربما كان هتلر يرغب فى الابقاء على حياد بريطانيـــا أملا فى أن تطلق أيديه على هذا النحو ضد روسيا •

وفى أثنا ء ذلك قررت ايطاليا بزعـــامة موسولينى الدخول فى الحرب (فى ١٠ يونيو) واحتلت بضع مدن فى جنوبى فرنسا •

وفى ٢٧ ســـــبتمبر وقعت ألمانيا وايطاليا واليـــابان المعاهدة الثلاثية ، وكانت بمثابة تجــــديد وتمديد لما سمى بالميثاق ضد الكومنترن التى وقعت سنة ١٩٣٦ •

وكانت بريطانيا بزعامة تشرشل هى الدولة الوحيدة التى أستمرت فى المعركة بالرغم من رعب الغارات الجوية العنيفة التى استمرت من ٨ أغسطس سنة ١٩٤٠ الى مايو سنة ١٩٤١ وراح ضحيتها ٤٥ ألف فقيد من المدنيين وخسرت ألمانيا فيها ٢٠٠٠ طائرة .. ومع (معركة بريطانيا) هذه سعت ألمانيا الى فرض الحصار بحرا حول الجزر البريطانية الصامدة ، وبهذا تقطع صلاتها بمستعمراتها فيما وراء البحار ، وبأمريكا ، التى كانت تتلقى منها الحبوب والسفن والامدادات الحربية .

وخلال أشهر مارس وأبريل ومايو الرهيبة سنة ١٩٤١ أغرقت الغواصات الألمانية ٤٥٠ سفينة تجارية . وحتى سنة ١٩٤٢ كان فى امكان سكان المناطق الساحلية فى أمريكا والبرازيل رؤية السفن البريطانية والامريكية والنرويجية والهولندية وهى تغرق وتنسف . ولقد اغرق الألمان خلال الحرب حوالى ٥٠٠٠ سفينة حمولتها ٢١ مليون طن) ، ولكنهم فقدوا ٦٥٠ غواصة ، وفقد الايطاليون ٨٥ غواصة .

وفى خلال هذه الفترة ، قهر هتلر جنوب شرقى أوروبا ، وأقرت كل من رومانيا والمجر وبلغاريا طواعية الى حد ما ، الاحتلال الالمانى ، فى الفترة مابين أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٤٠ ومارس سنة ١٩٤١ .

وبدأ الهجوم الألمانى على يوغوسلافيا واليونان فى ٦ من أبريل سنة ١٩٤١ وسقطت أثينا خلال ثلاثة أسابيع واضطرت بريطانيا الى اجلاء قواتها التى أرسلت لنجدة اليونان وكان قوامها ٥٠ ألف جندى ، وفى شهر مايو احتلت قوات المظلات الألمانية جزيرة كريت الكبيرة ..

عندئذ صار هتلر سيد القارة الاوروبية باستثناء البرتغال والسويد وسويسرا وأسبانيا الفرانكوية التى وقفت على الحياد ..

ولهذا كان واثقا من أنه يستطيع قهر الاتحاد السوفييتي في غضون ستة أسابيع وحدد شهر ديسمبر سنة ١٩٤٠ موعدا لتنفيذ الخطة النهائية لغزو أراضي الاتحاد السوفيتي (وقد أطلق على هذه الخطة « باربا روسا » ..

وبدا واضحا أن هتلر لم يكن يلقي بالا الى أن الاتحاد السوفييتي كان يتمتع في آسيا بحماية الصين وبمعاهدة عدم الاعتداء الروسية اليابانية التي وقعت في ١٣ ابريل سنة ١٩٤١ ، كما بدا أنه لم يكن يعير وجود أمريكا أي اعتبار ..

وفي ليلة ٢١ - ٢٢ يونيو سنة ١٩٤١ تقدمت قوات ألمانية وايطالية ورومانية وانضمت اليها بعد أيام قوات مجرية وفلندية تؤلف كلها حوالى ٢ر٥ مليون جندى الى ٣ مليون جندى ، تؤيدهم ٨٠٠٠ دبابة واخترقت الحدود الروسية على طول جبهة عرضها ١٧٠٠ ميل ، من غابات شمال فنلندا الى مياه البحر الأسود الهادئة . وبدا واضحا مرة أخرى أن الألمان مستمرون في تحقيق الانتصارات ، حتى ولو لم يتحقق وعد هتلر باتمامها في ستة أسابيع . وسقطت مدينة سمولنسك في منتصف شهر يوليو وصار هتلر في منتصف الطريق الى موسكو وتقهقر الروس من عاصمتهم كما حدث أيام غزو نابليون لروسيا . وبدأ حصار مدينة ليننجراد يوم ٤ سبتمبر وعصفت القوات الألمانية بمدينة كييف يوم ١٩ سبتمبر ، وسقطت مدينة أوديسا يوم ١٦ أكتوبر ومدينة خاركوف (في شمال شرقي أوكرانيا) يوم ٢٤ أكتوبر .

واذ ضربت القوات الألمانيه عرض الحائط بكل أحكام القانون الدولي ، أينما حلت ، استمرت هذه القوات في تقدمها وجاءت وراءها فرق الجستابو المرعبة وألقى الجيش الألماني رجاله أمام موسكو في شهر نوفمبر ، وغادرت الحكومة الروسية العاصمة ، ولكن ستالين نفسه بقى في الكرملين . وكان الشتاء قد حل حينذاك وقدر له أن يكون شتاء عسيرا . وفي تلك الأيام ، حيث كانت

الصحف الألمانية تترك مساحات في صفحاتها الأولى لتعلن احتلال موسكو بدأ الجليد يسقط الدبابات واللوريات الألمانية في الطين وتجمدت في ليالي الشتاء القارص الذى انخفضت فيه درجة الحرارة الى ٤٠ درجة تحت الصفر • وكان الشعب الروسى على دراية تامة بحقيقة الظروف وهذا ماكان يجهله الألمان مع أنهم كان في امكانهم معرفة حقيقة الشتاء في روسيا من أى كتاب مدرسى عن الجغرافيا •

وفي شهر ديسمبر ، هبت العواصف الثلجية ، وقامت قوات الجيش الأحمر وفرق الحرس من العمال (المليشيا) فحررت موسكو من خطر التطويق • ومع هذا ففى الصيف التالى استولت القوات الالمانية على مدينة سباستبول وهى قاعدة الأسطول الروسى على البحر الأسود (في ٢ يوليو) وعلى جزء من مدينة فورونيش (في ٧ يوليو) ومدينة روستوف في (٢٤ يوليو) وفي شهر أغسطس كانت القوات الألمانية تهـــدد مناطق القوقاز وقزوين واستراخان ومدينة ستالينجراد على نهـــر الفولجا ، أى بعبارة أخرى كانت تهدد حقول البترول في باكـو ، وخطوط الملاحة وخطوط السكك الحديدية فيما بين ايران وباكو ومنطقة الفولجا ، التى كانت أحد الخطوط القليلة الجيدة للمواصلات بين المصانع في أمريكا والجيش الاحمـــر ••

ولقد تبدو المنطقة التى احتلتـــها القـوات الألمانية من الاتحاد السوفييتى في صيف سنة ١٩٤٢ (وهى المنطقـــة الواقعة غرب لينتجراد وفورونش ـ ســـتالينجراد ـ ومناطق القوقاز) صغيرة جدا على الخريطة اذا قورنت بمساحة الاتحاد السوفيتى ولكنها مع ذلك كانت تضم ٤٥ ٪ من سكان الاتحاد السوفييتى ، و ٦٥ ٪ من مناجم الفحـم والصلب والحـــديد ، ونصـــف مســـاحة الأرض المزروعة قمحا ••

واذا كانت هذه هي حقيقة الامور في أوروبا ، فان الأمور في

شرق آسيا وفي المحيط الهادي وفي شمال افريقيا لم تكن أقل من ذلك سوءا .

ففي بداية الشتاء الحرج القاسي سنة ١٩٤١ في روسيا ، صدمت اليابان أمريكا بالهجوم على بيرل هاربور في (٧ ديسمبر) ودفعتها الى التحرك فما الذى كانت اليابان تتوقعه من وراء هذا التصرف الجنوني ؟ ان الجسور قد يحقق نجاحا ، ولكن النجاح لا يتم بالجسارة فحسب ففي٨ديسمبر سنة ١٩٤١ أعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا وهولندة الحرب على اليابان وفي اليوم الحادي عشر من الشهر نفسه أعلنت المانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة .

ومثلما فعلت الجيوش الألمانية في أوروبا اجتاحت القوات اليابانية مناطق الباسفيك والمناطق الساحلية في جنوب شرقي آسيا . وفي غضون عدة أسابيع صارت اندونيسيا والملايو وسيام (تايلاند) في أيديها ، وسقطت هونج كونج في ٢٥ ديسمبر ، ومانيلا في ٢ يناير سنة ١٩٤٢ وفي هذا الشهر نفسه سقطت كذلك جزر غينيا الجديدة الشرقية وسقطت جزيرة سنغافورة في ١٥ فبراير ، ورانجون في ٧ مارس وفي اليوم التاسع من هذا الشهر سقطت اندونيسيا التي كانت تسمى في ذلك الوقت بجزر الهند الشرقية الهولندية .. وفي شهر أبريل قصف أسطول ياباني جزيرة سيلان بالقنابل . وفي شهر مايو احتلت بريطانيا جزيرة مدغشقر الفرنسية بالقرب من الساحل الشرقي لافريقيا ، خوفا من أن تنزل اليابان قواتها فيها ..

وفي شهر يونيو سنة ١٩٤٢ ، بينما كانت القوات الالمانية تتقدم تجاه مناطق القوقاز والفولجا ، نزلت قوات البحرية اليابانية في جزر آتو وكيسكا الامريكية ، التى تقع جنوب بحر بيرنج ، والقريبة نسبيا من الاسكا ..

وتقدمت القوات اليابانية في بورما ، وأصبحت تهدد جميع

مناطق جنوب آسيا ، كما أن تقدمها فى غينيا الجديدة وقناة جوادال ضار يهــــدد خط المواصلات بين أمريكا وأستراليا ويهدد أستراليا نفسها ..

وبدا فى هذا الصيف نفسه كأن الألمان والايطاليين سيأخذون مصر ، وبهذا أصبحت كل المنطقــة الواقعة بين قناة السويس وبحر القوقاز مهددة ..

وفى شهر يونيو سنة ١٩٤٢ ، وصلت ٧٠٠ دبابة من دبابات الفرقة الألمانية فى افريقيا الى قرية العلمين الساحلية على الحدود المصرية ، وعلى بعد ٦٠ ميل من الاسكندرية . وفى هذا الشهر نفسه كانت سفن الحلفاء تغرق فى المحيط الأطلنطى بمعدل أربع ســفن يوميا ..

واذ نعود الى الوراء نستطيع أن نتبين أن هذه الشهور مابين مايو واغسطس تحدد نقطة التحول فى الموقف . فقد وصل كــل من المانيا واليابان الى الحد الأقصى لمجهوداتها . وقدمت العلمين والباسفيك الدليل على أن مجرى الأحداث قد تغير .

ففى ٢٣ من آغسطس أعلن الروس أن القوات الألمانية أصبحت على بعد ميل من ستالينجراد . وفى أوائل شـــهر سبتمبر تمكنت الدبابات وقوات المشاة الألمانية من احتلال ضواحى المدينة وقطعت خطوط مواصلاتها ولم يبق الا النهر مفتوحا للمواصلات ولكنه كان واقعا تحت نيران المدافع الألمانية . وتوقع الكثيرون داخل روســيا وخارجها ، أن تسقط ستالينجراد وأن يمتلك الألمان زمام منطقــة منطقة الفولجا فى أسبوع واحد ..

وفى يوم ٢٨ سبتمبر أعلن هتلر فى الريخستاج : (سوف تقع ستالينجراد فى قبضة المانيا خلال ٤٨ ساعة) .

ولكن التاريخ وستالين كان لهما آراء مخالفة واستبسل الجيش الأحمر والمواطنون فى الدفاع عن مصانعهم المحتــرقة وعن محطات السكك الحديدية وعن المنازل وعن الحقول ودارت المعركة فى أغلب

الاحيان من الأرض الى السقف ضد القوات العاصفة وتراكمت جثث القتلى ولكن ستالينجراد ، او بالأحرى حطامها بقيت فى قبضة الروس •

وعندما بدأت الثلوج فى السقوط فى نوفمبر ، شنت قوات روكوسوفسكي وبيرمنكو هجوما مضادا من الشمال ومن الجنوب وفى خلال اربعة أسابيع كانت القوات الروسية قد أسرت ٢٢ فصيلة من القوات الألمانية ، وكانت هذه أول هزيمة كبيرة تلحق بقوات العاصفة ، وقتل حوالى ١٥٠ ألف جندى ألمانى •• وفى أول فبراير سنة ١٩٤٣ استسلم الفيلد مارشال فردريك باولوس هو و٨٠ ألف جندى من قواته التي أوشكت أن تتجمد من شدة البرد •••

وفي خلال شهور فصل الشتاء الثلاثة . فقد الغزاة نصف مليون رجل ما بين قتيل وأسير فى الجبهة الروسية • ولكن الحرب استمرت • وفى يناير رفع الحصار عن لينتنجراد وتحررت المدينة من حصار التجويع الذى فرض عليها وعندما بدأت المصانع الجديدة الكثيرة في منطقة الاورال وفي آسيا السوفييتية العمل والانتاج في صيف سنة ١٩٤٣ وتدفقت كميات كبيرة من المهمات الحربية من أمريكا عبر ايران في الجنوب وعن طريق مورمانسك في الشمال وفلاديفوستك في الشرق ، وبلغ مقدار هذه المعدات الامريكية فيالفترة مابين سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٥ حوالى ١٥ ألف طيارة و ٥٠٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ قاطرة و ٢٠٠ ألف لورى صدت القوات الالمانية ورجعت القهقرى مسافة تتراوح مابين ٢٠٠ و ٣٠٠ ميل على طول الجبهة وما أن حل شهر ديسمبر حتى كانت جميع الاراضى الروسية الواقعة شرق نهر الدنيبر وخط كييف - لينتنجراد قد تحررت •

وكان روزفلت وتشرشل قد اتفقا فى فبراير سنة ١٩٤٢ على التصدى لألمانيا اولا لحماية بريطانيا وتحرير أوروبا وتخفيف أعباء

القتال عن كاهل الاتحاد السوفييتى ، ثم التفرغ لمحاربة اليابان بعد ذلك ..

وكان الاتحاد السوفيتى منذ (معركة بريطانيا) يواجه وحده الخطر الكامل لجهاز الحرب الألمانى ولم تكن المقاومة فى أوروبا قد نمت بعد بصورة قوية .

وكان ستالين يطالب فى الحاح متزايد بفتح (جبهـــة ثانية) فى أوروبا أى أن تقوم القوات الانجـــلوامريكية بغـــزو أوروبا المحتلة ..

ولكن تشرشل أعرض عن فتح مثـــل هذه الجبهة . فلم تكن عملية انزال الجنود من بريطانيا على أوروبا الغربية (نزهة بحرية) وانما كانت تعنى خسارة محققة لعدد ضخم من الجنود البريطانيين والأمريكيين وربما كان هذا هو السبب الرئيسى لتردده .

ولكن كانت هناك أيضا اعتبارات سياسية بعيدة المرامى عميقة الجذور تؤثر فى تردده . فان ماكان تشرشل يريده أكثر من أى شىء آخر هو العمل فى منطقة البحر الأبيض المتوسط (البريطانية) وفى جنوب شرقى أوروبا ، وكان يرى أنه دون ذلك سوف يكون الروس هم المحررون والمحتلون لأوروبا .

واستمر تشرشل يعارض الولايات المتحدة فى فكرة غزو أوروبا الغربية حتى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٣ مع أنه كان يعلم أنه لا بد فى النهاية من القيام بهذا الغزو .

وفى ٨ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ ظهـــرت ٨٥٠ سفينة حربية بريطانية وأمريكية بالقرب من ساحل مراكش والجزائر اللتين كانتا خاضعتين فى ذلك الوقت لحـــكومة فيشى . وانزل دوايت د - أيزنهاور قائد جيش الغزو ، جنوده فى مناطـــق مختلفة ولم تمض ثلاثة أيام حتى كانت القوات الفرنسية فى الدار البيضاء ووهران والجزائر قد استسلمت وكانت هذه نقطـــة التحول . فما كان من الألمان الا أن اقتحموا أراضى فرنســـا غير المحتلة انتقاما وتأمينا

لأنفسهم واذ كان قائد القاعدة البحرية فى ميناء طولون عدوا للألمان والبريطان فقد أغرق جميع سفنه فى الوقت المناسب .

وفى اليوم الثامن من شهر نوفمبر ذاته ، أخرج الجيش الثامن البريطانى بقيادة مونتجومرى الكتيبة الافريقية من مصر ، ولما كانت ألمانيا توجه فى ذلك الوقت كل قواتها العسكرية ضد ستالينجراد ، وكان مونتجومرى قد تلقى نجـدة بالدبابات من أمريكا فقد تمكن البريطانيون فى يناير سـنة ١٩٤٣ من الاستيلاء على طـرابلس فى غرب ليبيا ، وفى ١١ من مايو استسلمت القوات الألمانية والايطالية التى كانت فى تونس وعـددها ٢٥٠ ألف جندى • وهكذا تحطمت أحلام هتلر وموسولينى فى افريقيا ، تلك الأحلام التى كانت بمثابة كابوس رهيب يقلق لندن .

وسوف نعود الى المزيد من التطورات التى وقعت بعـد ذلك فى الفصل القادم ••

وكنتيجة طبيعية للانتصار فى شمال افريقيا ، فقد وضـــعت موضع التنفيذ خطة تشرشــــل الخاصة بمهاجمة المناطـق ذات الحساسية فى أوروبا • ففى ساعة مبكرة من صبيحة يوم ١٠ يوليو سنة ١٩٤٣ ، أنزلت قوات امريكية وبريطانية وكندية ونيوزيلندية واسترالية وهندية وفرنسية كذلك ، قوامها ١٦٠ ألف جندى من ٢٠٠ سفينة على الساحل الجنوبى لجـزيرة صقلية وكان أيزنهاور مرة أخرى القائد المسئول عن هذه الحملة وتمكن خلال أســبوعين من الاستيلاء على نصف الجزيرة • وكان واضــحا أن الايطاليين المرحين فقـــدوا ماكان لديهم من استحسان (للحرب الألمانية) فقد كانت مرهقة ومريرة ، وفى ٢٥ يوليو قامت ثورة صغيرة نزعت موسولينى من كل وظائفه وألقت القبض عليه • وقام القائد المسئول الجديد بادوليلو الذى تولى القيادة العليا فى حملة الحبشة ، بتحريم نشاط الحزب الفاشستى وأبدى استعدادا للتسليم . وفى اليوم الثانى من شهر سبتمبر نزلت القوات البريطانية والامريكية عـــلى

الساحل الجنوبى لايطاليا وفى اليوم الثالث من الشهر نفسه وقعت حكومة بادوليو بنود التسليم . وكانت القوات الألمانية أثناء ذلك قد قامت باحتلال البلاد ، وقامت قوات المظلات الألمانية بقيادة سكوزنى بانقاذ موسولينى من قلعة على جبل فى ابروتزى حيث كانت الحكومة الايطالية الجديدة قد سجنته . ولكنه منذ ذلك الوقت لم يكن له أى تأثير على مجريات الأحداث .

وبالرغم من نجاح عملية انزال الجنود فى سالرنو واحتلال مدينة نابولى (فى أول أكتوبر) فان قوات الحلفاء لم تحصل فى سنة ١٩٤٣ على شىء كثير من قرية كازينو الجبليسة السيئة السمعه . التى تبعد نحوا من ستين ميلا جنوبى روما .

ولكن الروس كانوا على الأقل قد شقوا طريقهم بعض الشىء واذا لم يكونوا قد حصلوا تماما على ماكان يطالب به ستالين من فتح (جبهة ثانية) ، فانهم قد حصلوا على (جبهة ثالثة) ..

وفى خلال شتاء سنة ١٩٤٣ وحتى صيف سنة ١٩٤٤ ، تم تحرير جميع الاراضى الروسية تقريبا ، كما أنه تم طرد اليابانيين بعد سلسلة من المعارك الوحشية العنيفة ، من جميع جزر الباسفيك تقريبا ..

وكان ايزنهاور أثناء ذلك مشغولا باعداد الخطة لغزو أوروبا الغربية ، وفتح (الجبهة الثانية) الحقيقية التى تعد أضخم حملة حربية وراء البحار فى التاريخ .

وفى ليلة ٥ ـ ٦ يونيو ، أى قبل دخول قوات الحلفاء روما بيوم واحد ، غادرت السفن التى تحمل قوات الغزو جميع الموانى على الساحل الجنوبى لبريطانيا متجهة الى نورماندى . وفى الساعة ٧ر٣٠ صباحا تدفقت الفرق الاولى من قوات المشاة عبر المياه الى الساحل وانطلقت تشق طريقها الى شواطىء سانت ماركوف وتلاله ونهر أورن على جبهة عرضها خمسون ميلا وقبل أن تنزل هذه القوات كان ٨٠٠ مدفع من مدافع البحرية و ١٠ آلاف طائرة قد

ألقت قنابلها على مخازن التموين الخرسانية الممتدة على طول الساحل الأطلنطى وكان عشرة آلاف من رجال المظلات الذين أنزلوا وراءه قد قاموا بقطع المواصلات الألمانية • ومرت القوات البريطانية والامريكية بفترة حرجة للغاية ، ولكن أيزنهاور تمكن فى بحر مائة يوم من انزال ٢ مليون جندى أكثرهم أمريكيون وبريطانيون وكنديون ، ٤٥٠ الف دبابة ولورى وغيرها من المهمات الحربية • وتم مد خط أنابيب للبترول تحت المياه عبر القناة البريطانية لتزويد هذا النصف مليون من القاطرات بالوقود ، وتم تحرير باريس فى ٢٣ أغسطس ومن بعدها بروكسل وانتويرب فى ٣ و ٥ سبتمبر ثم بعد ذلك تحرير جميع الاراضى الفرنسية والبلجيكية ولم يبق فى قبضة الالمان الا أراضى هولندة شمالى الانهار العظيمة (ماسل ، وال ، والراين) واستطاعت قواتهم أن تصد فرقة من المظليين البريطانيين عند كوبرى الراين بالقرب من أرنهيم فى الفترة مابين ١٧ و ٢٥ من سبتمبر •

وخلال الشتاء ، صمدت القوات الالمانية بقوة وتماسك على طول خط الراين من بحر الشمال الى الحدود السويسرية ، بينما احتلت القوات الروسية فنلندا ونصف بولندا وجميع مناطق جنوب شرقى أوروبا •

وفى سنة ١٩٤٥ تحطم جهاز الحرب الألمانى وشنت الطائرات الامريكية والبريطانية سلسلة من الغارات الجوية على المدن والمصانع والكبارى وخطوط السكك الحديديه فى جميع أنحاء ألمانيا ولقد كانت المانيا هى التى بذرت الريح فصارت عندئذ تجنى العاصفة وأصبحت الوحدات الميكانيكية الروسية يوم ٢٠ فبراير على بعد أقل من ٣٠ ميلا من برلين وكانت القوات الامريكية فى الوقت نفسه قد شقت طريقها عبر نهر الراين شمال كولونيا على كوبرى ريماجن (فى ٨ مارس) ، وهو أحد الكبارى القليلة التى فشل الألمان فى نسفها فى الوقت المناسب ، وفى اليوم السابع من أبريل ، تدفقت

سبعة جيوش من قوات الحلفاء داخل ألمانيا الغربية .. أربعة منها أمريكية ، وجيش واحد بريطاني وواحد كندي وواحد فرنسي وفى ٢٦ أبريل التقت القوات الروسية والأمريكية عند تورجـكو على جبال الألب على بعد حوالى ستين ميلا جنوبى برلين . وكان هذا بمثابة نهاية الأعمال الحربية فى أوروبا . استسلمت القوات الألمانية فى ايطاليا وحاول موسولينى متنكرا فى زى ألمانى ، عبور الحدود الى سويسرا ولكنه وقع فى قبضة رجال المقاومة الايطالية بالقرب من بحيرة كومو ، وأعدم رميا بالرصاص هو وعشيقته يوم ٢٨ أبريل . وفى أول مايو ، اعلن راديو ألمانيا انتحار هتلر فى مقره بمبنى المستشارية واحتلت القوات الروسية قلب برلين واستسلمت القوات العاصفة فى ٧ مايو .

أما اليابان ، فقد واجهت نهايتها المرة فى أغسطس ، ففى اليوم الثانى من شهر سبتمبر وقعت حكومة اليابان وثائق التسليم فى طوكيو .

ان الرعب الذى بدا فى صباح اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٩٣٩ فى شرق أوروبا ظل يجتاح الأرض ٢١٩٤ يوما وليلة .

وان أرقاما قليلة لتعطى فكرة بعض الشيء عن هذه الفترة الدامية فى تاريخ العالم .. عدد القتلى من الجنود وفرق المقاومة والمدنيين فى بعض الدول التى اشتركت فى هذه الحرب : فقدت بلجيكا ١٦٠ ألفا (١ ٪ من مجموع السكان سنة ١٩٤٠) بريطانيا ومستعمراتها ٦٥٥ ألف (٥ ٪) الصين ٢٠ مليون (٥ر٤ ٪) ألمانيا ٣ مليون و ٧٥٠ (٥ر٦ ٪ بريطانيا ٣٣٥ ألف (٦ر١ ٪) واليونان ٥٥٠ ألف (٧ر٧ ٪) وهولندا ٢٥٥ ألف (٩ر٢) ٪ ايطاليا ٥٧٠ ألف (٧ر١ ٪) واليابان ٢ مليون و ٢٠ ألف (٨ر٢ ٪) يوغوسلافيا مليون و ٧٠٠ ألف (١١ ٪) وكندا ٣٩ ألف (٣ر٪) والفلبين ١٢٥ ألف (٨ر٪) بولندا ٥ مليون و ٥٠٠ ألف شخص (٧ر١٦ ٪) رومانيا ٧٠٠ ألف (٦ ٪) الاتحاد السوفيتي ١٥ مليون شخص

(٨ ٪) وفقدت الولايات المتحدة ٣٧٠ ألف (٣ر ٪) وقتل أكثر من ١٣ مليون أوروبى ، ربعهم من النســاء والأطفال بعيدا عن ميدان القتال فى القرى والمدن المحتلة فى شرق أوروبا وروسيا .

وفى ختام هذا الفصل نتحدث عن أمـــاكن وتواريخ وبعض نتـــائج سلسلة المباحثـــات الدبلوماسية والعســـكرية التى دارت بين الحلفاء .. وقد كانت هذه المحادثات فى أكثـــر أجزائها وهذا أمر طبيعى تجرى سرا ومع أن جميع الدول المعنية كانت ترسل عددا كبيرا من خبرائها لحضور هذه المحادثات ومثال ذلك مـؤتمر يالتا الذى حضره ٧٠٠ خبير بريطانى وأمريـــكى منهم روزفلت وتشرشل وأطبائهما وهيئة السكرتارية الخاصة بكل منهما فــان تشرشل وستالين وروزفلت هم الذين كانوا يتخذون القرارات .

وكانت المؤتمرات العامة هى :

١ ـ المؤتمر الذى عقده تشرشل وروزفلت على ظهر البارجة (برنس أوف ويلز) بالقرب من نيوفاوندلاند فى ٩ و ١٠ أغسطس سنة ١٩٤١ وقد وقع ميثاق الأطلنطى الانجلو أمريكى (نشـــر فى ١٤ أغسطس) الذى رسم الخطوط العريضة لخطط الحلفــاء : اعادة السيادة للدول المحتلة ، امتناع كل من بريطانيا أو الولايات المتحدة عن الاستيلاء على أية أراضى ، كل الشعوب لهـــا الحق فى تقرير الحكم الذى تريده (وهـــذا البند فسر بطريقة مختلفة فى آسيا ما قورنت بالغرب) ، حرية البحار ، ثم مايقال عن الحريات الأربع : حرية ابداء الرأى وحرية العقيدة الدينية والتحــرر من العوز والتحرر من الخوف .

٢ ـ المؤتمر الذى عقد فى الدار البيضاء فى مراكش الفرنسية من ١٤ ـ ٢٤ يناير سنة ١٩٤٣ (تشرشل وروزفلت والجنرالان ديجول وجيرو من فرنسا الحرة) حيث وضعت الخطـــوط العريضة للاستراتيجية الغربية فى أوروبا وتم التوصـــل الى

الاتفاق على طلب التسليم بلا شروط من المانيا ، ونوقشت خطط غزو ايطاليا ، ومسألة القيادة العليا لفرنسا الحرة ».

٣ ـ المؤتمر الذى عقد فى كويبيك فى الفترة مابين ١١ و ٢٤ اغسطس سنة ١٩٤٣ (تشرشل وروزفلت و ت . فى . سونج مندوبا عن الصين وغيرهم) حيث كانت الموضوعات التى نوقشت هى خطط الحملة فى آسيا ، ومد يد المساعدة للصين (عن طريق الجسر الجوى) كما بحثت تفاصيل العمليات الامريكية فى الباسفيك وكذلك خطط غزو أوروبا .

٤ ـ المؤتمر الذى عقد فى موسكو من ١٩ الى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٤٣ (وزراء خارجية الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا : هل وايدن ومولوتوف) وبحث الوزراء ضمن جدول اعمالهم مسألة استعادة استقلال النمسا ، ومعاقبة مجرمى الحرب والاعتراف بالصين كواحدة من الاربعة الكبار ، ولم تكن فرنسا قد أدخلت بعد فى هذا النطاق) ».

٥ ـ المؤتمر الذى عقد فى القاهرة من ٢٢ ـ ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٣ (تشرشل وروزفلت وشيانج كاى شيك) لبحث الأمور المتعلقة بسير القتال فى الشرق الأقصى وفيه تم الاعتراف بمنشوريا وفورموزا كجزء من الاراضى الصينية كما تم الاتفاق على أن تصبح كوريا دولة مستقلة .

٦ ـ المؤتمر الذى عقد فى طهران من ٢٨ نوفمبر الى ١ ديسمبر سنة ١٩٤٣ (تشرشل وروزفلت وستالين) وكان هذا هو اللقاء اول بين روزفلت وستالين ، وكان هذا اللقاء يشيرا بالثقة العظمى التى أبداها كل من الجانبين فى سنتى ٤٤ و١٩٤٥ فلم يكن هناك قبل هذا المؤتمر رغم المظاهر تفاهم حقيقى بين روسيا وحلفائها ، فمثلا لم يحدث الا فى سنة ١٩٤٤ ان تبادلت بريطانيا وروسيا التقارير الخاصة بحالة الطقس . وفى هذا

المؤتمر كان من بين ماتم الاتفاق عليه خطط القتال في أوروبا ، غزو نورماندى فى شهر مايو على ان يسبق عملية الغزو ذاتها هجوم كبير تقوم به القوات الروسية في الشرق • وخضعت تفاصيل هذا الاتفاق للسرية الدقيقة ••

٧ ـ المؤتمر الذى عقد فى يالتا ـ مصيف فى بحر القرم ـ مابين ٤ ـ ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ وفيه بحث تشرشل وروزفلت وستالين تكوين مناطق الاحتلال في ألمانيا ـ القوات الروسية فى شرق ألمانيا ـ القوات البريطانية فى شمال غربى ألمانيا ، القوات الامريكية فى الجزء الجنوبى الشرقى والقوات الفرنسية فى الجزء الجنوبى الغربى ، كما تم الاتفاق على الحدود الجديدة لبولندا وألمانيا ، وعلى موعد انعقاد المؤتمر الدولى لاقرار مشروع (الأمم المتحدة) الذى كانت كل من بريطانيا والولايات المتحدة والصين وفرنسا والاتحاد السوفييتى تعمل فى اعداده مثلا منذ أن عقد مؤتمر دومبارتون اوكس فى شهر اغسطس وسبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٤٤ ، كما تم الاتفاق على أن تحول روسيا قواتها العسكرية ضد اليابان خلال ثلاثة أشهر عقب انتهاء الحرب فى أوروبا وقد حفظ هذا القرار طى سرية تامة بطبيعة الحال •

٨ ـ المؤتمر الذى عقد في سان فرانسسكو من ٢٣ أبريل الى ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٥ وفيه وقعت خمسون دولة ميثاق الامم المتحدة ، وكان من بين هذه الدول تسع دول آسيوية : الصين والهند والعراق وايران ولبنان والفلبين والعربية السعودية وسوريا وتركيا ••

٩ ـ المؤتمر الذى عقد فى بوتسدام من ١٧ يوليو الى ٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ ومثل بريطانيا فى بداية هذا المؤتمر تشرشل ثم خلفه آتلى زعيم حزب العمال ومثل الولايات المتحدة ترومان ، اذ أن روزفلت كان قد توفى فى ١٢ أبريل فى وارم

سبرنجز ، ومثل روسيا ستالين ، وفيه بحثت شئون أوروبا بما في ذلك نزع السلاح وخلـــع النازية من ألمانيا والتزامات ألمانيا وقيودها الاقتصادية الخـارجية والداخلية وكذلك اعادة الحريات الديمقراطية الى بلد تسممت فكريا أثناء حكم الاشتراكية الوطنية (النازية) ●○●

٢

الحرب العالمية الثانية فى أفريقيا

لماذا وجب علينا أن ندخل قصة الحرب فى افريقيا فى حديثنا عن تاريخ آسيا ؟ .. ذلك لأنه من غير الممكن فصل الحرب فى شرق آسيا عن الحرب فى أفريقيا . كما أنه من غير الممكن فصل الحرب فى افريقيا عن الحرب الأوروبية أو عن تطورات الموقف فى آسيا فى هذه الفترة .

ففى خطط برلين أو على الأقل فى الأحلام الطامحة التى كانت تراود عقول الاشتراكيين الوطنيين (النازيين) كان ينظر الى الحملة فى شمال أفريقيا مثلا على أنها فى وقت واحد بداية وأساس للغزو الألمانى لجنوب غربى آسيا الذى يمكن تمديده بعد ذلك الى القوقاز وآسيا الروسية والهند والباكستان .

وهكذا فاننا كى نشرح الأصول التاريخيـة للحرب ، لابد من الرجوع الى التـاريخ المـاضى . ففى سـنتى ١٥ و ١٩١٦ أعلنت ايطاليا الحرب على النمسا والمجر والمانيا على أمل أن تتمكن من مد حدودها الى الشمال الشرقى والى الشرق،واذ كانت ايطاليا لاتملك القدر الكافى من القوة لتحقيق ذلك فان جيوشـها لم تحتل سـوى مايقرب من ستة أميال مربعة من الأراضى النمساوية ، لذلك فـان ايطاليا لم تحصل الا على القليل جدا فى فرساى . وقسمت فرنسا وبريطانيا الممتلكات الالمانية السابقة فى افريقيا فيما بينها ،وضغطت الدولتان دبلوماسيا واقتصاديا على جميع المناطق الواقعة فى شرق وجنوب أوروبا ، وفشل التدخل الايطالى فى اليونان وتركيا (سنتى ١٩ ــ ١٩٢١) وظهر واضحا فى ذلك الوقت احتمال حدوث ثورة

يسارية فى داخل ايطاليا نفسها ، لذلك فان الطبقة البورجوازية الايطالية وجدت ملاذا فى النظام الفاشستى القومى بزعامة الاشتراكى السابق بنيتو موسولينى (سنة ١٩٢٢) .

ان الزحف الفاشستى على روما فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٢٢، حيث استسلمت الحكومة والملك يحدد بداية العهد الفاشستى فى ايطاليا . وقد كان النظام الجديد بطبيعة الحال ضد الاشتراكية وضد الديمقراطية واستعماريا للغاية فى الاتجاه الى الاستيلاء على الأراضى . وكانت تراوده أحلام استرجاع الامبراطورية الرومانية ، فكان تحقيق ذلك الحلم يعنى امتلاك شمال افريقيا .

وكانت ايطاليا فى عملية التقسيم الكبرى لأفريقيا من ١٨٨٥- ١٩١٠ قد حصلت على اريتريا على البحر الأحمر (١٨٩٢ -١٨٩٦) والصومال على المحيط الهندى . وانتزعت ايطاليا ليبيا على الساحل الشمالى لأفريقيا بالقوة من تركيا ، (سنة ١٩١١) وتلك كلها كانت مساحة كبيرة جدا ، فأريتريا تكاد أن تكون مثل مساحة تشيكوسلوفاكيا ، ومساحة الصومال الايطالى مثل مساحة فرنسا ، وليبيا مثل مساحة المانيا سنة ١٩٣٩ ثلاث مرات ، ولكن معظمها صحروات رملية وصخرية وليس لها أهمية حيوية من الناحية الاقتصادية . وكان هذا هو الذى أثار حنق الاستعماريين الايطاليين

وكان لايزال يوجد فى أفريقيا مملكة واحدة مستقلة هى امبراطورية الحبشة التى تمتد أراضيها بين أريتريا والصومال الايطالى وبدت هذه الامبراطورية الضعيفة فريسة سهلة وكانت حادثة الحدود عند وال وال فى جنوب غربى الحبشة فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٤ هى تكئة الهجوم على الحبشة، وكان هذا الهجوم صورة تاريخية طبق الأصل من حادثة « موكدن » التى وقعت فى منشوريا فى سبتمبر سنة ١٩٣١ ..

واذا رجعنا الى الوراء أمكننا التعرف على أن هاتين الحادثتين كانتا نقطة البداية للحرب العالمية الثانية ولم تعارض أوروبا الغربية

خطط موسولينى التوسعية الا فى فتور وسمح لسفن نقل الجنود الايطالية بعبور قناة السويس دون عائق كما أن فرنسا وافقت سرا على احتلال ايطاليا للحبشة . وذلك فى المعاهدة الفرنسية الايطالية الموقعة فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ .

وفى ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٥ بدأ الايطاليون غزوهم وشنت ايطاليا حربا بربرية متوحشة وقامت الطائرات الايطالية بنسف المدن والقرى الآهلة بالسكان الوادعين واستخدمت الغازات السامة ، وقامت القوات الايطالية بقيادة مارشال بادوليو بمحو الدولة الافريقية من الخريطة .

وفى ٥ مايو سنة ١٩٣٦ استولت القوات الايطالية على أديس أبابا ، وفر هيلاسلاسى ، ملك الملوك ، الى بريطانيا . وفى ٩ مايو أعلنت ايطاليا الحاق جميع أراضى الدولة بها وأصبح الملك فيتوريو امانويل الثالث امبراطور أثيوبيا .

وكان الاجراء الذى اتخذته ايطاليا فى أفريقيا الشرقية دون معارضة وكذلك استعادة ألمانيا المؤقت لمنطقة الراين (فى ٧ مارس سنة ١٩٣٦) بمثابة بداية النهاية لمعاهدة فرساى والأمن الجماعى .. وقد حدث هذا حينما بدأ التمرد الفاشستى فى أسبانيا (من ١٨ يوليو سنة ١٩٣٦) وبدأت به الحرب الأهلية التى اشترك فيها عدد كبير من « فرق الايطاليين المتطوعين » كما اشتركت فيها فصائل الدبابات وأسراب الطائرات الألمانية دون أن تعبأ بالرأى العام ..

وفى ضوء هذه الأحداث التى وقعت فى شرق آسيا ، وفى شرق أفريقيا وفى منطقة البحر الأبيض المتوسط وفى أوروبا اتخذت المعاهدة المصرية البريطانية التى وقعت فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٦ مغزى جديدا وكان لهذه المعاهدة بالنسبة لمصر نتيجتان ، اذ قللت مؤقتا من نفوذ حزب الوفد المناهض لبريطانيا وأدت الى تشديد

الخلافات الطبيعية القائمة فى صفوف الوفد ، وهذه غالبا ماتكون النتيجة العامة للازمة التى تحدث داخل أية حركة وطنية ..

كان المعتدلون يحلمون باختفاء تدريجى للقوات البريطانية ، بينما أراد المتطرفون ومنهم جماعات القمصان الخضر والزرق الفاشستية الاستعانة بايطاليا لمحاربة الانجليز ، وهكذا كانوا يسعون الى طرد الشيطان استعانة « ببعلزبول » أمير الأرواح الشريرة (فى التاريخ الرومانى القديم) ..

ولكن التوتر الدولى مالبث أن امتد الى مصر عندما حدث فى سنة ١٩٣٨ أن احتلت ألمانيا النمسا واحتلت اليابان شمال الصين وعندما ظهر بوضوح أن ايطاليا تطمع فى الاستيلاء على قناة السويس فقرب ذلك بين مصر وبريطانيا اذ كان الوفد فى ذلك الوقت يتردد بين تيارين : التيار المعادى للبريطانيين وتيار المبادىء الديمقراطية المعادية للفاشية ، وانهزم فى الانتخابات العامة التى اجريت فى شهر أبريل سنة ١٩٤٨ . ومع ذلك ظلت مصر نقطة تهديد فى الامبراطورية البريطانية عندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، كان كثير من المصريين وخاصة فى حاشية الملك فاروق يعطفون على أفكار القمصان الخضراء أى على الايطاليين واذ كانت فرق موسولينى فى ذلك الوقت قد استقرت فى ليبيا المتاخمة لمصر وعلى حدود السودان فان صورة الموقف بالنسبة لبريطانيا ولمصر لم تكن تبدو وردية جدا ..

وقد ذكرنا من قبل كيف أن ايطاليا قامت أثناء الحرب الخاطفة بغزو جنوب فرنسا ، وأعلنتها على فرنسا وبريطانيا (فى ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠) وفى شهر اغسطس تقدمت القوات الايطالية الموجودة فى الحبشة واحتلت الصومال البريطانى . وفى ١٣ سبتمبر تقدمت القوات الايطالية من ليبيا واخترقت الحدود الى مصر . وكان هذا هو البداية الحقيقية للحرب فى فريقيا ، ذلك لأن القاعدة البريطانية

فى مصر أصبحت مهددة بالعزل اذا ماحاصرت ايطاليا البحر الأبيض المتوسط . وكانت أسبانيا الفاشستية (المحايدة) خطرا ثانيا على مضيق جبل طارق ، ومراكش الأسبانية والصحارى الأسبانية . هل كان يمكن أن تبقى تركيا على الحياد ؟ وماذا يحدث لو أن الألمان نجحوا فى الاستيلاء على موانى غرب أفريقيا الفرنسية ، ومنهما يمكنهم منع السفن البريطانية من التوجه الى البحر الأحمر عن طريق جنوب افريقيا) وماذا ستكون فائدة البحر الأحمر اذا استولت ايطاليا على عدن ؟

كان هذا كله يحدث بينما الطائرات الألمانية والايطاليه تهاجم لندن وجنوب انجلترا ليلا ونهارا ، وفى الوقت نفسه كانت المانيا وايطاليا واليابان توقع المعاهدة الحربية والاقتصادية الثلاثية فى برلين (فى ٢٧ سبتمبر) .. وقد كتب تشرشل فيما بعد يقول « ان الانسان ليرتعد وهو يكتب عن هذه الفترة » وتشرشل ليس ممن يرتعدون بسهولة .

ولكن الايطاليين يحبون ضوء الشمس ، والنبيذ والنساء ، ويكرهون حياة الجندية على الأقل فى وقت الحرب الحقيقية البشعة .. وقد ظهر هذا فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٠ عندما طردت القوات البريطانية القوات الايطالية المهاجمة بقيادة جرازيانى من مرسى مطروح فى الأراضى المصرية واحتلت بردية القريبة من الحدود ، حيث استسلم عدد كبير من الجنود الايطاليين وتقهقر جرازيانى تجاه بنى غازى (٧ فبراير) عبر الطريق الوحيد للتقهقر نحو الغرب ، وفى ٨ فبراير وصلت القوات البريطانية الى اغيلا التى تبعد أكثر من ٥٦٠ ميل عن الحدود المصرية . وأسر وقتل حوالى ١٢٠ الف جندى ايطالى بعد هجوم استمر شهرين .

وفى الوقت نفسه تقريبا ، تمكنت القوات البريطانية من السودان وكينيا من تحرير أثيوبيا بمساعدة الوطنيين الأحباش . وتم فى ٥ ابريل احتلال أديس أبابا عاصمة الحبشة ، وما أن حل

شهر نوفمبر ، حتى كانت القوات البريطانية قد احتلت جميع أراضي افريقيا الشرقية الايطالية • وبلغ عدد الأسرى الايطاليين في أثيوبيا واريتريا والصومال وحدها ٢٢٠ الف أسير من القوات الايطالية التي كانت هناك وكان عددها ٤٢٠ الف جندي . وعاد الامبراطور الى عاصمته في (مايو سنة ١٩٤٢) وأعلنت بريطانيا أن أثيوبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة (في يناير سنة ١٩٤٢) وكان هذا مثلا نموذجيا للطريقة التي تنازل بها الاستعمار الغربي عن أطماعه ..

ولم تكن القوات الايطالية ، في الحقيقة تشكل خطرا على الاحتلال البريطاني لمصر ، ولكن عندما وصلت الكتيبة الألمانية المخصصة لأفريقيا في مارس سنة ١٩٤١ الى شمال أفريقيا بالطائرات وخلف رومل ، خبير الدبابات الألماني ، جرازياني في قيادة القوات الفاشية في جبهة القتال تغير الموقف تماما وكان « ثعلب الصحراء » قد أظهر مهارته الفائقة في حرب الدبابات ، في معركة فرنسا ، وكانت الوحدات الافريقية الألمانية التي تمتاز بالمهارة البروسية قد أعدت تماما لخوض الحرب في الصحراء بما لها من خصائص وما فيها من أهوال ودربت تدريبا فنيا كاملا على مواجهة حرارة القيظ وندرة أي حماية طبيعية في بلد صحراوية قاحلة وقلة الماء وهبات العواصف التي تعوق حركة الدبابات والمدافع ، والتي قد تؤدي الى استنفاد قوة المقاومة لدى الجنود .

وفي ٣ ابريل كانت القوات الألمانية قد عززت بفرق من المشاة الايطالية فقامت بالهجوم ، ولما كان البريطانيون قد أرسلوا أربع فرق من قواتهم الى اليونان التي غزاها الألمان من الشمال ، فقد تمكن رومل في ظرف أسبوعين من الاستيلاء على برديه والسلوم على الحدود المصرية • وأصبح الموقف في مصر ومنطقة جنوب غربي آسيا في غاية الحرج ، واستسلمت اليونان في شهر ابريل ، وهكذا أصبح الألمان سادة المنطقة الممتدة حتى حدود تركيا ..

وفى شهر مايو احتلت قوات المظلات الالمانية جزيرة كريت ، التى تبعد أقل من ٢٠٠ ميل شمال مصر • وكان عدد السياح الألمان فى الدول العربية فى ذلك الوقت كعدد ذرات الرمل فى شواطىء البحر وكانت كل التقارير الواردة من العراق وايران ومن سوريا الخاضعة حينذاك لحكومة فيشى الفرنسية تفيد أن الضباط والطيارين الألمان قد ظهروا فى كل مكان ، وبهذا انكشفت خطط الألمان الخطيرة تجاه هذه البلدان • وهذا يفسر اقدام بريطانيا على احتلال العراق فى شهر مايوسنة ١٩٤١ وكذلك احتلال بريطانيا وقوات فرنسا الحرة لسوريا ولبنان فى شهر يونيو ثم احتلال القوات البريطانية والروسية لايران فى أغسطس وبقيت الخطط الالمانية فى هذه الدول كلها غير متحققة حتى الغزو الألمانى لمصر الذى انتظر طويلا أخفق فى شهر مايو • يرجع هذا من ناحية الى أن برلين فى ذلك الوقت كانت تولى كل اهتمامها لعملية بارباروسا ، وهى خطة مهاجمة الاتحاد السوفيتى (٢٢ يونيو سنة ١٩٤١) ومن ناحية اخرى ربما كانت برلين تخشى أن يؤدى مثل هذا الغزو الى دفع مصر المحايدة الى المعسكر البريطانى •

وأيا كان السبب ، فان الجانبين كليهما وقفا ساكنين على الحدود المصرية خلف حقول الالغام التى بثت بعرض ميل وظل الحال على ذلك حتى شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ ، عندما هاجمت القوات الالمانية موسكو ، وعندئذ تمكنت القوات البريطانية من دفع القوات الالمانية الى الوراء (فى ٢٥ ديسمبر وهو اليوم نفسه الذى سقطت فيه هونج كونج فى أيدى اليابانيين ووصلت الى بنى غازى ثم الى اغيلة بين الحدود المصرية وتونس •

ومع هذا ، ظلت القوات الالمانية سليمة وفى مراكز قوى متين • فما لبثت أن شنت فى ربيع سنة ١٩٤٢ هجوما مضادا ورغم أن قوات روميل كانت اقل عددا فانه احتفظ بعنصر المباداة وتمكن روميل فى ساعات من الاستيلاء على طبرق (٢١ يونيو) وأسر ٣٠ ألف

جندى ، ثم اندفع شرقا على طول الساحل واخترق الحدود الى داخل مصر ووصل فى ٣٠ يونيو الى العلمين ، التى تبعد مايزيد ستين ميلا عن الأسكندرية .

وقامت الطائرات الالمانية بضرب القاهرة والمدن المصرية الأخرى بالقنابل ، كل هذا كان يحدث بينما كانت القوات النازية تندفع من أوكرانيا الى منطقة نهر الفولجا والقوقاز ، وكانت القوات اليابانية تحتل بورما ، وبذلك عزلت الصين من ناحية الجنوب ، وقامت بريطانيا بانزال قواتها فى جزيرة مدغشقر التى كانت تابعة لحكومة فيشى الفرنسية (فى مايو سنة ١٩٤٢) لأنها كانت تخشى اقدام اليابان على غزوها ، وبدا كما لو كانت احلام برلين وطوكيو فى آسيا فى طريقها الى التحقق .. وهى احلام تدهف الى الاستيلاء على منطقة جنوب آسيا وقطع المواصلات بين روسيا والصين من ناحية ، والمواصلات بين بريطانيا وامريكا من ناحية أخرى ..

وفى أثناء ذلك تدخلت بريطانيا فى مصر بعنف ، ففى شهر فبراير سنة ١٩٤٢ وقت سقوط سنغافورة فى أيدى اليابانيين طلب سيرميلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة (الذى أصبح لورد كيلرن فيما بعد) من الملك فاروق ـ والدبابات أمام القصر الملكى فى حالة استعداد ـ استدعاء النحاس باشا لتولى السلطة فى البلاد ، وهو الزعيم الوطنى المعتدل لحزب الوفد والمعادى للفاشية ، وأصبح النحاس باشا رئيسا للوزارة وقائدا للقوات المسلحة فى مصر وأجرى انتخابات حرة فاز فيها الوفد مرة أخرى باغلبية ملحوظة ، وكانت مصر فى المراحل الأخيرة من الحرب ـ دون طواعية ـ قاعدة الأمان للبريطانيين ، ولا يمكن أن ننكر الأهمية الاستراتيجية لهذا التغيير ، حتى ولو كان هذا التغيير قد أدى بمصر ، مثلما أدى بتركيا ، الى اعلان الحرب على المانيا رسميا فى فبراير سنة ١٩٤٥ .

وفشلت خطة ألمانيا التى كانت تهدف للوصول الى نهر

النيل فى صيف سنة ١٩٤٢ وعند موقع العلمين ، وقفت القوات البريطانية والاسكتلندية والنيوزيلندية والاسترالية والهندية والنيبالية والبولندية والتشيكية وقوات من جنوب افريقيا تساعدها مصانع السفن والأسلحة فى أمريكا لتسد الطريق الموصل الى النيل وكان كل الصلب والرصاص والألومنيوم أمريكيا . وانه ليندر أن يكون فى الامكان التعبير عن تأثير العوامل التاريخية بالأرقام أو حتى تقديرها تقديرا صحيحا ، ولكن يحتمل أن يكون الانتاج الحربى الامريكى قد ساعد على كفالة أمن مصر وسلامة الأراضى الأسيوية القريبة بقدر مماثل لما فعلته المقاومة البريطانية والروسية المستميتة فى الدفاع عن هذه المناطق .

وقد لايمكن فى مساحتنا المحدودة أن نذكر أى برهان على هذا ولكن هاهنا أحد الأمثلة لدلالة التعبير الذى كان يطلق على أمريكا حين يقال عنها (ترسانة الديمقراطية) ، ففى سنة ١٩٣٩ كانت لدى كافة دول العالم عشرة الاف سفينة تجارية ولكن الولايات المتحدة صنعت وحدها فى الفترة مابين ١٩٤١ و١٩٤٥ حوالى ١٢ الف من السفن الحربية والتجارية وهذا يعنى أن معدل الانتاج كان فى سنة ١٩٤٣ يتراوح بين سفينتين وثلاث سفن يوميا .

وهناك عاملان آخران ساعدا على تبديد آمال الالمان واليابانيين بتجميع قواتهما فى الهند . الأول يتمثل فى الهجوم الروسى على منطقة الفولجا والقوقاز فى صيف سنة ١٩٤٢ وفى خلال شتاء سنة ٤٢ ـ ١٩٤٣ ، وهو الهجوم الذى أسفر عن النكبة التى حلت بالجيش السادس الالمانى وقضت عليه ..

والثانى يتمثل فى نزول القوات البريطانية الامريكية على ساحل شمال افريقيا الفرنسية (مراكش والجزائر) فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ وكانت القوات التى نزلت وراء القوات الالمانية على ساحل افريقيا الشمالية نصفها من البريطانيين ونصفها من الامريكيين .. ولكن أيزنهاور القائد المسئول عن الحملة أعطى الحملة طابعا

امريكيا لأنه كان يتوقع أن يفضل الفرنسيون أن يتم تحريرهم على يد الامريكيين ، ومهما يكن من أمر ، فقد سلمت جميع الأراضى الفرنسية فى غضون ثلاثة أيام ، وقد ذكرنا من قبل أنه نتيجة لذلك قامت القوات الألمانية بالاستيلاء على أراضى فرنسا الفيشية التى لم تكن قد احتلت بعد .

وبدأ الألمان فى أوائل شهر نوفمبر يتسحبون من مصر ، وفى الأسبوع الثالث من شهر أكتوبر قام الجيش الثامن البريطانى بقيادة مونتجمرى بهجوم مضاد ، وفقد الالمان فى معركة الدبابات الرهيبة التى وقعت عند العلمين ٥٠٠ دبابة ، وقتل ٤٥ ألف من الألمان والايطاليين ، ووقع فى الأسر ٣٠ ألف جندى ، وكانت هذه المعركة كما قال تشرشل (نهاية البداية) .

وفى ٢٤ يناير سنة ١٩٤٣ ، أخلى الالمان طرابلس فى غرب ليبيا وانسحبوا الى الخط الحصين المغطى بالنخيل عند ماريث فى جنوب تونس ، ولكن الثمانى فرق المدرعة بقيادة مونتجمرى لم تعط أى قسط من الراحة ، بعد ذلك ، بل اندفعت تهاجم القوات الالمانية فى خطها الجديد بينما غزت القوات الامريكية تونس من الغرب وغزتها قوات فرنسا الحرة من الجنوب . وفى أثناء ذلك كله ، كان روميل قد سافر الى برلين ليطلب من رؤساء (الورماخت) نجدة عاجلة ولكن طلبه لم يلق استجابة وذلك لأنه عندما كانت الجبهة الشرقية فى حاجة الى كل ما يمكن الحصول عليه من امدادات لم يكن من الممكن بدء هجوم جديد فى افريقيا ، وكانت الحرب فى افريقيا قدانتقلت الىسجل التاريخ ولم تعد مصر معرضة للخطر وأعيد فتح الخط البحرى بين جبل طارق والسويس من جديد وفى شهر مايو سنة ١٩٤٣ أبحرت أول سفن من بريطانيا متجهة الى ميناء الأسكندرية دون مقاومة .

وفى منتصف شهر يوليو نزلت القوات البريطانيه والامريكية

والكندية فى جزيرة صقلية ، وبذلك اكملت عملية تحطيم احــــلام موسولينى الاستعمارية .

لقد كبدت الحرب فى افريقيــا الدول الفاشيه خسائر فادحة ، فقد كلفتها حوالى ٨٠٠٠ طائرة و ٢٥٠٠ دبابة و ٧٠٫٠٠٠ لورى ومن ٢٥٠ الى ٣٠٠ سفينة تجارية و ٩٥٠٫٠٠٠ جندى مابين قتيــل وأسير .

أما خسائر المنتصرين فلم تكن تقل عن ذلك فداحة .. ومثــل كل تقرير عن أى حــرب ينتهى التقرير فى افريقيا بالدماء والدموع والخرائب المتفحمة من النيران *

٣

ايران وأفغانستان

عندما تتحول ايران الى دولــة متحضرة فعلا وتصبح لديها بالاضافة الى خبرائها الاقتصاديين والفنيين ومهندسيها الزراعيين ، مؤرخون وعلماء آثار فسوف يكرسون أنفسهم لدراسه تاريخ الفرس المتنوع بصورة غير طبيعية . وقد يعتقد الانسان أنهم سوف يظهرون كيف انه حتى في عصور ماقبـــــل التاريخ وقبل أن يبدأ عصرنا بثلاثة آلاف سنة ، بل وقبل ذلك ، وهى الفترة التى لانملك اية مصادر من أى نوع عنها ، لعبت بلاد الفرس دور الوسيط بين ثلاث مناطق حضارية ـ منطقة وادى نهرى دجلة والفرات ، (العراق الحديثة) ـ منطقة وادى الاندوس وهى منطقة لم تـــكتشف الا حديثا (باكستان الغـربية) وهى المنطقة التي وصلت الى نفس المستوى الرفيع من الثقافة الذى وصلت اليـــه مصر وبلاد الشرق الأدنى .

ونحن نعلم قـــدرا أكبر كثيرا عن الامبريالية الفارسية التى وجدت في الفترة مابين سنة ٥٥٠ ق . م وسنة ٣٥٠ والتى كانت تمتد فى تلك الايام من مصر واستانبول الى نهر الاندوس وبحـر الأرال ..

وقد ظهرت أهمية ايران السياسية والاستراتيجية فى العصور الحديثة فى عهد نابليون . ففى صيف سنة ١٧٩٨ عنــــد ما تأكد نابليون من صعوبة غزو بريطانيا ، قام بحملتـــه على مصر ، التى كانت حينذاك مقاطعة تركية . وفى فكره مهـــاجمة المستعمرات البريطانية فى الهند عن طريق الجزيرة العربية وبلاد الفرس ، وكان

نابليون قد أرسل بالفعل خطابا الى الشاه يطلب منه حق المرور عبر بلاد فارس •

ان المشابهة بين الاحداث التاريخية أمر شائك جدا ، ولكن المقارنة بين ماحدث سنة ١٨٠٧ وماحدث سنة ١٩٤١ أمر شديد الاغراء ، ففى سنة ١٨٠٧ كان الفرنسيون يحتلون بالفعل أوروبا كلها فيما عدا بريطانيا وروسيا ، اذ جعلت معاهدة السلام التى وقعتها فرنسا وروسيا فى تلزيت فى يوليو سنة ١٨٠٧ من روسيا دولة محايدة وقد تفككت قوة نابليون وتحطمت فى سهول روسيا الثلجية العميقة وفى حرائق موسكو ، وفى ليبزج (سنة ١٨١٣) وفى واترلو (سنة ١٨١٥) كذلك تحطمت قوة هتلر فى ستالينجراد (سنة ١٩٤٣) وفى نورماندى (سنة ١٩٤٤) وفى برلين (سنة ١٩٤٥ •

وعندما نشبت الحرب فى أوروبا فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ أعلنت ايران حيادها ، ولكنه لم يكن حيادا بالمعنى المفهوم من حياد سويسرا • ومن المؤكد أن الحكومة الايرانية لم تكن تفسر الحياد على هذا النحو بل انحازت سرا الى جانب برلين وفى حالات كثيرة لم يكن هذا الانحياز يجرى سرا ولقد تحقق هتلر ، مثل نابليون ، من أهمية ايران الاستراتيجية ، وكان قد أرسل اليها عددا من المهندسين والفنيين بل من الجواسيس المحترفين • وبالنسبة لطهران الواقعة بين باكو وعبدان كان ذلك يبدو عناية الهية وكانت وزارة الخارجية فى لندن تعلم كل شىء عن هذه الصداقة الفارسية الألمانية ، لذلك سعت فى سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ الى تحطيمها وفصل طهران عن برلين •

وفى شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٤١ اقتربت الحرب من منطقة جنوب غربى آسيا ، ففى شهر مايو كانت فرق الدبابات الألمانية تهدد مصر ، وفى ٢٢ يونيو بدأ الهجوم الألمانى على الاتحاد

السوفييتي وسرعان ماقامت القــوات البريطانية باحتلال سوريا والعراق حيث كان يوجد عدد كبير جدا من العملاء الالمان وصارت مسالة ايران هي العاجلة بعد ذلك •

وظلت ايران بتعاطفها مع الألمان ، تمثـل فراغا خطرا بما لديها من ثروة في البترول ، كما كانت ايران حاجزا بين روسيا والبحر ، ولم يكن من الممـكن الانتفاع باستعداد الامريكيين لتزويد روسيا بالمهمـات الحـربية ، اذا لم تؤمن طرق المواصـلات وكان لدى الاتحاد السوفييتي من الناحية النظرية ميناءان مفتوحان للملاحة : ميناء مورمانسك في أقصى الشمال الغربي وفلاديفستك في الشرق الأقصى • أما لينينجراد التي تقع على بحر البلطيق وموانى البحـر الأسود فكان يحاصرها الألمــان ، وكانت موانى سيبيريا الشمالية محاطة بالجليد لمـــدة طويلة ، أو أن ارتباطاتها بالمناطق الداخلية كانت ضعيفة جدا ، ولكن الطريق الى مورمانســك لم يكن آمنا ، وكانت موانى النرويج مزدحمة بالغواصات والطائرات الألمانية ، كما أن فلاديفستك كانت بعيدة كل البعـــد عن ميدان القتال في روسيا فهي تقع على بعد ٦٠٠٠ ميل وكونها قريبة من اليابان لم يجعلها آمنة تماما ، وقد منعت اليابان فى الفتـرة مابين ديسمبر سنة ١٩٤١ واغسطس ســنة ١٩٤٥ تحركات السفن البريطانية والامريكية في منطقتها •

لذلك كان أكثر طرق المواصلات أمنا وامـــكانا للاستعمال بين أمريكا وروسيا هو الطريق الـــذى يعبر ايران (وكانت حدود تركيا في ذلك الوقت متاخمة لما سماه هتلر بالقلعة الاوروبية • ولم يكن لدى أنقرة أى ميل لعمل اية تجارب حمقاء متهورة •

وأقدمت القوات البريطانيـــة والروسية على احتـلال ايران فيما بين ٢٥ و ٢٩ اغسطس فاخذت القوات الروسية المنطقـــة الشمالية وأخذت القوات البريطانية المنطقة الجنوبية • وفي ١٦

سبتمبر استسلم الشاه رضـــا خان ، ونفى الى جزيرة موريتيوس البريطانية ، ومات محزونا سنة ١٩٤٤ في جنوب افريقيا ..

وأصبح ابنه رضا بهلوى (ولد سنة ١٩١٩ وتزوج للمرة الأولى من الأميرة المصرية فوزية) ملكا على دولة أكثر ديمقراطيـة وان تكن خاضعة للاحتلال الأجنبى المؤقت . ولم تكن ايران دولة حرة بالمعنى الخالص لهذه الكلمة فقد كان الضباط الأجانب ومن بينهم عدد كبير من الامريكيين يعملون فى خط السكة الحديد وغيره من وســـائل المواصلات ، هم الحكام الحقيقيون للبـــلاد . فهل كان هذا ضد ارادة الشعب الايرانى) .. لم يـكن الأمر كذلك عـلى الاطلاق ، وذلك لأن ايران عرفت كثيــرا من ألـــوان التفـاوت الاجتماعى ، مثال ذلك التفاوت بين الفلاحين الصغار وبين مـلاك الاراضي الكبار وكان هذا التفاوت قد ازداد حجما ووضوحا خلال السنوات القليلة السابقة وقد منع حكم الشاه الفردى المتحكم بعنف أى ميل نحو اليسار وقبض فى سنة ١٩٣٧ على خمسين من المثقفين والطلاب الأحرار والاشتراكيين لا لشىء سوى آرائهم السياسية التى اعتبرت خطرة على نظام الدولة فلما قام النظام الجديد فى البلاد سنة ١٩٤١ أطلق سراح هؤلاء المعتقلين وقام هؤلاء الخمسون على الفور وكان أشهرهم سليمان ميرزا اسكندرى بتأسيس حزب توده (حزب العمال) وهو حزب متطرف أو بالأحرى حزب اصلاحى يسارى ، وفى سنة ١٩٤٥ فاز اليساريون المتـطرفون من العناصر الشيوعية بالغالبية فى الحرب .

وطبيعى كان من نتيجة هذا التغيير الذى حدث فى ايران أن طرد بعض الألمان من أفغانستان وهم الفنيون و (السـياح) الذين سبق أن تحدثنا عنهم . وأبعد بعض أعضاء الحكومة الذين كانوا على علاقة طيبة بالألمان عن مناصبهم أما فيما عـــدا ذلك فقد بقيت مملكة أفغانستان محايدة تماما ، وهى الدولة الجبليـــة التى تقف بعيدا عن التطور الاسيوى المنطلق .

وفى ٢٩ يناير سنة ١٩٤٢ ، وقعت بريطانيا وروسيا وايران معاهدة فى طهران ضمنت سلامة ايران الاقليمية وسيادتها وأقام الفنيون الأمريكيون نظام النقل فى ايران ، وجددوا الخط الحديدى الذى يعبر ايران وعددا كبيرا من طرق السيارات وأنشأوا عددا من الموانى ، وزودوا ايران بالقاطرت والعربات (جزء منها مستورد من الهند وباكستان) واللوريات . وقام الروس والايرانيون بانشاء خط حديدى فى الشمالى الغربى من ايران ، يربط مابين طهران واذربيجان ، وقام البريطانيون بانشاء خط جديد فى الشرق ، وهو الطريق الذى يمتد الآن من غرب باكستان حتى آسيا الروسية

ولقد تم نقل كثير من المعدات الامريكية وبعض المعدات البريطانية الى روسيا عن طريق خط السكة الحديد عبر ايران وعن طريق خطوط السيارات ، وبلغ وزن جميع هذه المعدات حوالى ٥ مليون طن ، نقلتها حوالى ٧٠٠ سفينة ، وقد ساهمت أمريكا بثلاثة أرباع المعدات المرسلة الى الاتحاد السوفيتى ، وكانت عبارة عن ٢٠٠٠ قاطرة ، ٥٠٠٠ دبابة ، ١١٠٠ بندقية ، ١٥٠ ألف لورى ، وعدد كبير من ١٥ ألف طائرة سبق ذكرها ، وغيرها من المعدات والمهمات الأخرى التى تحتاج فى الميدان ، آلات التليفونات والأدوية . وكانت هذه المهمات والمعدات كبيرة جدا ، ولكنها تعتبر قليلة بالنسبة للحرب الحديثة . وقد أعطى عدد كبير من المؤلفين تقديرات مختلفة عن أهمية المساعدة الانجلو امريكية الى الاتحاد السوفيتى ؛ فمن بين المهمات الحربية التى اشتركت بها الولايات المتحدة فى الحرب ، كان نصيب الاتحاد السوفييتى منها ٣ ٪ بينما كان نصيب بريطانيا ١٥ ٪ وهذه الارقام ادلى بها روزفلت نفسه . ومع ذلك فان عمليات النقل عبر ايران ومورمانسك دعمت قوة القتال لدى الروس فيما يحتمل بنسبة ٢٠ ٪ ولقد ساهم الايرانيون بنصيب كبير فى الحرب حتى ولو لم يكن هذا برغبة منهم ورغم أن اعلان الحرب على ألمانيا (فى ٩ سبتمبر ١٩٤٢) وهو اليوم

الذى استسلمت فيــه ايطاليا وكــذلك اعلانها الحرب على اليابان (سنة ١٩٤٥) لم يكن له أكثر من مغزى دبلوماسي بسيط • وكان هناك الى جانب خط السكك الحــديد ، آبار البترول والموانى والعمال ، والمناطق الزراعية فى شمال ايران ، التى استمدت منها روسيا الحبوب والخضروات والفواكه •

واذ كانت ايران هى الدولة الوحيدة التى تستطيع القــوات الروسية والبريطانية والأمريكية التحرك فيها بحرية تامــة ، فقد اتخذت طهران مقر المؤتمر التاريخى الذى عقد من ٢٨ نوفمبر الى ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٣ وحضره تشرشل وروزفلت وستالين (الذى لم يكن يرغب الابتعاد كثيـرا عن مقر قيادته) ورفهوا عن أنفسهم بــكثير من الفودكا والشاى الروسى وناقشوا خطط الحرب فى أوروبا • وفى وثيقة مؤرخة بتاريخ أول ديسمبر ، وهى تلك الوثيقة التى يطلق عليهــا عادة (تصريح طهران) عادت الدول الثلاث فأكدت فى كلمات معسولة (سلامة الأراضى الايرانية) واستقلالها وسيادتها • وحددت تاريخا لانسحاب قواتها من الاراضى الايرانية، انسحبت القــوات البريطانية والامريكية فى ديسمبر سنة ١٩٤٥، كما انسحبت القوات الروسية فى مايو سنة ١٩٤٦ ووعدت الدول الثلاث بتقديم المساعدات للبلد الذى أرهق فى الحــرب وذلك لأن الاحتلال وعملية النقل الحــربى عبر الأراضى الايرانية قد حطمت الاقتصاد الوطنى وحطمت نظام النقل المدنى فى البلاد •

ولقد عانت طهران فى سنة ١٩٤٢ مجــاعة مستمرة ، ومنح الشاه الوقت لقراءة الوثيقة فوقعها ، دون طواعية ، فلربما يكون الشاه قد تبيــن من قبل كيف أن الألفاظ المبهمة والخطط الغامضة تعتبر من الأمور غير المهمة فى العلاقات الدولية) • ومن المــؤكد انه كان على حق فى أن يعلق عليها آمال كبيرة •

ولكن العمل الحقيقى الذى قامت به ايران فى الحرب ضــد

الفاشية ومثله الشعور العام بالمرارة حين لم تتوفر الشواهد الفعلية على الاعتراف بالجميل ولم تتحقق المساعدات الاقتصادية ثم تحرر دول آسيوية كثيرة من السيطرة الاستعمارية الاوروبية كل ذلك دفع القومية الايرانية الى التجاوز عن الحدود الضيقة التي انحصرت فيها حتى ذلك الوقت .ويعتبر دكتور مصدق،الذى أصبح شخصية عالمية رمزا لهذه الانطلاقة الوطنية .. ثم جاء النزاع مع روسيا حول اذربيجان (سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦) والنزاع مع بريطانيا حول البترول (سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤) وهكذا هنا أيضا هيأت الحرب ظروفا مواتية للتحرر .

٤

الهند وباكستان

تفصل الجبال الشاهقة الارتفاع الهند وباكستان عن الصين ووسط آسيا . وترجع أهمية ايران الاستراتيجية حتى فى العصور القديمة أصلا الى أنه تمتد غربها وشمالها أراضى الهند الغنية بسكانها الكثيرين وثروتها من الحبوب والذهب .

الم يكن في وادى الهندوس وفى غيره من الأراضى التى تتكون منها الآن الهند وباكستان ، سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد وربما قبل ذلك بكثير ، مجتمع زراعى لا تقل الثقافة فيه عن الثقافات التى ترعرعت فى مصر وفيما بين الرافدين : دجلة والفرات ؟.. الم يزرع القطن وينمو ويجمع انتاجه فى هذه المناطق قبل وجود مثل هذه الزراعات فى هذين البلدين بعدة قرون ؟ لقد كانت الهند وباكستان دائما عبر تاريخهما الطويل أكثف سكانا من أوربا ولم يتبدل هذا الوضع الا فى القرن الثامن عشر عندما بدأت الحضارة الأوربية تتفوق على الحضارة الآسيوية من الناحية الفنية والاقتصادية ..

وكم من امبراطوريات أوروبية وآسيوية كثيرة طمعت فى ثروات الهند . ولقد كان هناك عديد من الغزوات كما كانت هناك خطط كثيرة معدة للغزو ونذكر من هذه الغزوات ، الهجمات التى شنها الألمان الهنود الغامضون (الاريون) القادمون عبر بلاد فارس وافغانستان فى الفترة ما بين سنة ٢٤٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد ، والغزو اليونانى لوادى الهندوس بقيادة الاسكندر الاكبر (٣٢٥ قبل الميلاد) ثم غزوات الهون البيض الذين قدموا من وسط آسيا (فى

القرن السادس الميلادى) وعبروا بلاد الفرس أيضا وكذلك الغارات التى شنها فرسان المغول بقيادة تيمورلنك من سمرقند (فى القرن الرابع عشر الميلادى) ثم الاحتلال المغولى للهند (فى القرن السادس الميلادى) بقيادة « أوبابار » وهو ينتمى الى جنس تيمورلنك وينتسب الى جنكيزخان من ناحية أمه، ويضاف الى هذا كله الغزوات الاسلامية (فيما بين القرن الثانى عشر والقرن الرابع عشر) التى قام بها العرب والأتراك والأفغانيون ثم وصول البرتغاليين وحروبهم (فى القرن السادس عشر) والهولنديين والفرنسيين والبريطانيين (فى القرن السابع عشر) ثم خطط الغزو الفرنسية بقيادة نابليون (سنة ١٨٠٠) ثم أخيرا الأحلام الاسيوية التى راودت هتلر وهيروهيتو فى عصرنا ...

وخلال هذا التاريخ الطويل ، كانت مناطق آسيا القريبة دائما هدفا لأطماع الطامعين بسبب موقعها الاستراتيجى الهام وكان لها ان صح التعبير وظيفة انثوية فقد انتشرت ثقافتها بعيدا عن حدودها . وقد دافعت الملكيات والثقافات الوطنية المختلفة بقوة عن كيانها ضد الغزاة الأجانب ولكن لم يكن هناك اية محاولات للتوسع خلف حدودها القائمة اليوم وكان من المميزات الخاصة بالهند فى القرن التاسع عشر انها كانت محط انظار الطامعين فى العهد الاستعمارى عندما اتخذت الطبقة البورجوازية الهندية لنفسها الثقافة البريطانية سواء فى أكسفورد أو كامبردج ، أو فى الهند نفسها ولم يكن للحركة الوطنية الهندية الفتية نسبيا زعماء فى الخارج أثناء الحرب العالمية الأولى ، كما لم يكن لها أى رؤية فى المجال الدولى . وقد أيد غاندى وغيره من الوطنيين بريطانيا فى المرحلة الأولى على الاقل وذلك لاعتقادهم المخلص وان يكن ساذجا بعض الشىء بأنه ما أن تلحق الهزيمة بالمانيا والنمسا ، حتى تساعدهم بريطانيا الديمقراطية التحرر من السيطرة الاستعمارية . وما أن حلت سنة ١٩١٨ حتى كان ما يزيد عن ١٫٢٠٠٫٠٠٠ جندى وعامل من الهند يساعدون الامبراطورية

البريطانية فى حملاتها بأوروبا وفى العراق وفى الجزيرة العربية وفى شرق افريقيا ولكن الحرية لم تتحقق ، بل بالأحرى زادت الأمور سوءاً ..

وأثناء ذلك ، كان الموقف قد تطور فى الداخل . ففى سنة ١٩٢٧ كان حزب المؤتمر يقول ان الوطن الهندى حتى لو لم يكن حرا ، يجب أن يرفض التورط فى الحروب الإستعمارية القادمة ولم تؤد معارضتهم لخطط التوسع الفاشستى فى أوربا وافريقيا (٣٥ــ ١٩٣٩) ، وكذلك استنكارهم لأطماع الاستعمار اليابانى تجاه الصين عندما أرسل الحزب مساعدات طبية كثيرة لشيانج كاى شيك (٣٨ــ١٩٣٩) ، الى تغيير موقفهم بالنسبة لقرارهم الخاص بمقاطعة الحروب الاستعمارية ..

وتفادى حزب المؤتمر سنة ١٩٣٩ الوقوع فى الأخطاء المريرة التى تردى فيها سنة ١٩١٤ ورفض هذه المرة بناء قصور فى الهواء . وعندما ارسلت بريطانيا قوات هندية الى عدن ومصر وسنغافورة صيف سنة ١٩٣٩ ، واجه هذا التصرف مقاومة عامة . وأصدر الحزب بيانا صريحا أوضح فيه موقفه ، جاء فيه : « اننا ضد العدوان الفاشستى فى أوربا وافريقيا وفى الشرق الاقصى ، ولكننا بالمثل ضد خيانة الاستعمار البريطانى لتشيكوسلوفاكيا وأسبانيا » ..

وعندما نشبت الحرب فى أوربا ، أعلن نائب الملك لورد لينليثجو على مسئوليته الخاصة ، أن القسم المسئول هو عنه من الامبراطورية (أى الهند) فى حالة حرب مع ألمانيا وأعلن وقف كل الاستعدادات التى كانت قائمة لتكوين الاتحاد الهندى العام . واتخذ حزب المؤتمر وجهة نظر الشيوعية الدولية والانعزاليين الأمريكيين وقالوا : « هذه حرب بين دولتين استعماريتين فى أوربا ، لذلك سنظل بعيدين عنها » .

ثم قالوا بعد ذلك فى (١٤ سبتمبر) « اذا أخبرتنا بريطانيا

بخططها الحربية وخططها فى آسيا ، فقد نتمكن من النظر الى آفاق أبعد .. اننا نرتعد من جراء العدوان الألمانى على بولندا ، ولكن الهند مع ذلك لا يمكنها المساهمة فى حرب توصف بأنها حرب من أجل الحرية الديمقراطية ما دامت الحرية الديمقراطية تنكر على الهند وما دامت الحرية المحدودة التى تتمتع بها تسلب منها ... فاذا كانت هذه الحرب قد شنت لحمـــاية ممتلكات المستعمرين ومستعمراتهم واموالهم المستثمرة وامتيازاتهم ، فان الهند لا يمكنها أن تفعل شيئا تجاهها ، أما اذا كان الهدف هو الديمقراطية ... فعندئذ ستهتم الهند بالأمر اهتماما شديدا » .

وفى ١٥ أكتوبر بعثت بريطانيا جوابا على نائب الملك ، وجاء فيه أن بريطانيا تدافع بجانب دفاعها عن جزرها عن الديمقراطية فى أوربا وعن حرية العالم ، أما بالنسبة للهند فان بريطانيا سـوف تعلن انها من الممتلكات المستقلة (دومنيون) .

ورد حزب المؤتمر بالقول « هذه عبارات مبتذلة وغامضة جدا بحيث لا يمكن أن نشغل بها قلوبنا . اننا نريد الاستقلال ولا نريد أن نكون ملكا لأحد . اننا ضد الفاشية مثلكم تماما ، ولكننا لاننوى اراقة دمائنا من اجل حرية الآخرين بينما نحن أنفسنا لا نتمتع بالحرية .. ان لكل شيء حدودا .. »

واحتجاجا على ذلك استقال الوزراء الذين نصبهم الحزب فى الولايات الهندية احتجاجا على تصرف الحكومة البريطانية . وهكذا أصبح على الحكام البريطانيين أن يحكموا بمفردهم ، كما كان يحدث فى القرن التاسع عشر . وفى بومباى أعلن ١٠٠ ألف عامل فى مصانع المدينة الاضراب العام وكان هذا علامة أخرى على الرغبـة العامة فى عدم التورط فى الشئون الاوربية .

ولم يؤيد بريطانيا فى موقفها سوى راجات الممالك الاقليمية وعـدد كبير من ملاك الأراضى الكبـــار ورجال الصناعة .. اما الحكومات الوطنية فى الولايات الاسلامية فقد استمرت فى الحكم

ولكن بصورة مؤقتة فى ولايتى البنغال والسند »». رغم أن جناح أوضح رايه بان الظروف قد تهيأت بالفعل لانشاء دولتى الهند وباكستان وأن تتمتع الدولتان بالحرية التامة »».

وفى خلال الحرب كان حوالى ١٥ الف متطوع ينضمون الى الجيش كل اسبوع ، حتى كانت قوات الامبراطورية تضم ٢,٥٠٠,٠٠٠ جندى من الهنود والباكستانيين من مختلف الأجناس ومن جميع انحاء البلاد . ولم يكن هؤلاء الجنود والضباط الأسيويون الموجودون فى ميادين القتال فى آسيا وفى افريقيا وفى اوروبا اقل شانا من الجنود والضباط الأوروبيين أو الأمريكيين ؛ وكان لهذه الحقيقة مغزى نفسى عميق بالنسبة للهند . اذ ان هذه القوات الوطنية التى دربت على فنون الحرب الحديثة كان مقدرا لها أن تصبح الاساس الذى يقوم عليه جيش الهند وجيش الباكستان بعد أن تتحرر الدولتان .

وعندما امتد نطاق الحرب فى شهر مايو سنة ١٩٤٠ ، أعلن زعماء حزب المؤتمر المعادى للفاشية ، ومن بينهم نهرو وراجاجوبالاشارى استعدادهم للدفاع عن الهند الحرة المستقلة . ومع أن هذا القرار يحمل فى طياته تغييرا ثوريا فى اتجاه الحزب ؛ وتخليا مؤقتا عن مبادىء غاندى فان الحكومة البريطانية ظلت تغمض عينيها كما كانت من قبل تماما مثلما اغمضت هولندا عينيها فى اندونيسيا وفرنسا فى الهند الصينية ، وأرسل نائب الملك خطابا آخر الى حكومته فى لندن فى شهر اغسطس تضمن مجرد ترديد لما سبق ان ذكره من قبل »».

وتحول الحزب من جديد الى مبادىء غاندى . وفى هذه المرة كتب نهرو المقالات التى سبق أن اقتبسناها . وتم احياء حركة الستياجراها (وهى حركة المقاومة السلبية وفقا لمبادىء غاندى) والقى القبض على عدد كبير من المتطوعين ، فما أن حل شهر اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، حتى بلغ عدد المسجونين من الهنود ٣٠ الف

سجين ، معظمهم من القاطعات المتحدة ، وكان من بينهم جميع زعماء الحزب ، وفى ذلك الوقت كان الضباط الألمان فى الغرب البعيد يضعون خطط حملة « بارباروسا » وفى ساعة مبكرة من ٢٢ يونيو سنة ١٩٤١ تدفقت القوات الألمانية المصفحة داخل السهول الروسية . وهنا ظهر عنصر جديد ـ فى المجال الدولى ـ بالنسبة لبريطانيا وممتلكاتها الآسيوية . ففى ٤ ديسمبر وقبل اندلاع نيران الحرب فى الباسفيك ببضعة أيام ، وعندما بدا أن جيوش هتلر سوف تصل الى موسكو ومنطقة القوقاز ، أفرجت بريطانيا عن نهرو وعدد كبير من زعماء الحزب الآخرين ..

ولكن تشرشل لم يكن ليذهب أكثر من ذلك ، واغضب عناده وتشبثه برايه دولا كثيرة ، وخلق شعورا بالمرارة فى الهند .. الم يعلن تشرشل وروزفلت صراحة فى ميثاق الأطلنطى فى اغسطس سنة ١٩٤١ « انهما ، اى بريطانيا والولايات المتحدة ، سوف تحترمان حق أى شعب فى أن يختار شكل حكومته ، وانهما ترغبان فى أن يعاد حق السيادة والحكم الذاتى الى الشعوب التى حرمت منه » ؟ لقد صرح تشرشل فى لندن فى أوائل شهر سبتمبر انه كان يعنى بذلك الدول الاوربية المحتلة فحسب ، وانه لا ينوى انقاص رقعة الامبراطورية مادام رئيسا للحكومة ..

وقال المسئولون الكبار فى دلهى : « ان أحدا لا يضع الويسكى الجيد فى أكواب لم تنظف جيدا أو فى زجاجات مشققة » .. وكان هذا بصراحة كلاما واضحا لا لبس فيه ولا غموض ولكنه فسر فى آسيا بمعنى آخر فقيل « اذا كانت بريطانيا تتكلم عن الحرية اليوم ، فليس معنى ذلك سوى استمرار بقاء الحكم البريطانى فى البلاد . ان تشرشل وأتباعه ليسوا سوى استعماريين ينتمون الى القرن التاسع عشر » ..

واتسع نطاق العدوان وفى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ وصلت درجة الحرارة فى الباسفيك الى درجة الغليان ولم يكن البريطانيون

وحدهم الذين ارتعدوا مما تضمنته التقارير الخاصة بتدهور الأحوال فى الشرق الأقصى : فى جزر هاواى وجزيرة واك ، ثم غرق الغواصة الملكية « برنس أوف ويلز » والغواصة الملكية « ريبلس » وضياع الملايو وسيام وهونج كونج والفلبين واندونيسيا وفى أول شهر يناير سنة ١٩٤٢ فى الفترة ما بين سقوط هونج كونج وسقوط مانيلا ، وقعت ٢٦ دولة على اعلان الأمم المتحدة ، وكان هناك حديث أيضا عن توسيع نطاق معاهدة المساعدة المتبادلة بين بريطانيا وروسيا التى وقعت فى ١٣ يوليو سنة ١٩٤١ وكان من بين الدول التى وقعتها استراليا وكندا والصين وبريطانيا والهند والفلبين والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ..

واصدر نهرو وانصاره بيانا أعلنوا فيه : اننا ننضم كذلك الى هذه الجبهة « ولكن عددا كبيرا من زملائه فى الحزب كانوا يفكرون بطريقة مختلفة . وكان غاندى أول الأمر يعارض أى اشتراك فى الحرب ، بينما كان سوبهاس شاندرابوز وعدد قليل غيره من أعضاء الحزب يأملون الحصول من اليابان على الحرية التى منعها عنهم البريطانيون . وكانت الخطط الرسمية لحزب المؤتمر تؤيد الدخول فى جبهة تشرشل اذا ما نالت الهند حريتها الحقيقية ولكن بغير شروط أخرى .

وبينما اختفى الرجال البيض فى سنغافورة ومانيلا وباندونج وباتافيا فى معسكرات السجون اليابانية سعت حكومات أجنبية الى اقناع لندن بمنح الهند البريطانية قدرا من الحرية أثناء زيارة شيانج كاى شيك هو وزوجته لدلهى فى أوائل سنة ١٩٤٢ . اذ قال للورد لينلثجو ، الحاكم البريطانى : « اعطوا الهند استقلالها ، والا فان اليابانيين سوف يحتلون بورما وبذلك يقطعون سبل المواصلات مع شونكنج « وقال وزير الخارجية الاسترالية كلاما مشابها ولكن على أساس أن اليابانيين سوف يهددون حرية استراليا اذا ما انشأوا قواعد لهم فى غيانا الجديدة وجوادالكانال ، وقال روزفلت فى أكثر من خطاب أرسله الى تشرشل : « لن تدافع

الهند عن نفسها كما نفعل نحن الآن الا اذا كانت حرة ولنفكر فيما حدث فى الصين واندونيسيا والملايو » ..

ولقد استولت اليابان على رانجون (فى ٧ مارس سنة ١٩٤٢) واستسلمت باندونج فى الأسبوع نفسه ، وأغارت الطائرات اليابانية على بعض المدن الواقعة فى التلال الشرقية للهند ، وقصفتها بقنابلها وعندئذ فقط أظهر البريطانيون استعدادا لبعض التنازلات وتدفقت على الهند مئات الآلاف من اللاجئين الهنود الذين قدموا اليها بعد أن اجتازوا الغابات الوعرة فى تلال أراكان ، وحكوا عما لاقوه من أهوال أثناء فرارهم وعن ارتباك الادارة البريطانية وانتشار الملاريا ومن قطاع الطرق ، ومن منع غير الأوربيين من عبور الحدود وانسحاب القوات البريطانية . وفى ذلك الوقت بالذات أرسل سير ستافورد كريبس سفير بريطانيا فى موسكو من ١٩٤٠ الى ١٩٤٢ الى دلهى وكان كريبس من الفريق الذى يثق به نهرو .. وأحضر كريبس معه خططا جديدة ولكنها لا تتضمن اى شيء بالنسبة لحرية الهند . وبدا واضحا من جديد أن الجناح اليمينى فى الحكومة البريطانية ، وبخاصة تشرشل كان يرغب فى تأجيل موعد اعلان حرية الهند ، وياله من أمر رهيب أن يصبح رجل عظيم رجل ذكى ، عبدا لعناده وصلابة رأيه ، ويسيء تقدير الحاضر والمستقبل على حد سواء ..

كانت خطة كريبس تهدف الى انشاء الاتحاد الهندى ، على أن يظل ضمن الممتلكات البريطانية متمتعا بالحكم الذاتى وله الحق فى الانفصال عن الكومنولث ، على أن يتم وضع دستور وطنى جديد هندى خالص للولايات والممالك الاقليمية ولكن هذا كله ماكان لينفذ الا بعد انتهاء الحرب ، وعندئذ سوف توافق الحكومة البريطانية فقط على دستور يعطى الحق لكل ولاية او مملكة اقليمية فى البقاء خارج نطاق دولة الهند الجديدة ويحمى حقوق الأقليات .

وحين تفحص هذه الخطة عن قرب يظهر أن ماتضمنته لم يكن

يختلف كثيرا عن مشروع أغسطس سنة ١٩٤٠ ولهذا رفضها حزب المؤتمر وجميع الأحزاب الأخرى (١١ ابريل سنة ١٩٤٢) وتوجس نهرو وأنصاره خيفة من امكان تقسيم البلاد الى مقاطعات هندية واسلامية مختلفة ، وخلق ممالك كبيرة أو صغيرة غير ديمقراطية يمكن أن تكون موالية لبريطانيا . وكان المسلمون مثل جناح يريدون تأكيدا بأن دولة باكستان الحرة ستقوم بالفعل ، وليس مجرد أمل ..

وقد ساء الجميع نقص الوضوح فى نص الاقتراح البريطانى .. وكان نهرو قد كتب سنة ١٩٣٤ بالتحديد بعد تأجيل موعد اعلان حرية الهند مرة أخرى يقــــول : « يبدو أن الكلمات البريطانية تغير معانيها حالما تجتاز قناة السويس » ..

وعندما ننظر الى مشروع كريبس موضوعيا ، وبعــد مرور هذه الفترة من الزمن يبدو لنا أنه خليط من التصورات الهولندية التى تضمنها خطاب الملكة فى ٧ ديسمبر ســــنة ١٩٤٢ ، ومن بعض خطط فان موك فيما بين ١٩٤٥ ــ ١٩٤٨ لتقسيم أندونيسيا ..

وبينما كان حزب المؤتمر يتحسس طريقه للعودة الى سياسته القديمة ، تولى غاندى للمرة الاخيرة مقاليد الزعامة .. واذ كانت زعامته معادية للفاشية وضد اليابانيين فقد أمر فى وقت واحـــد بمقاطعة الادارة البريطانية ، وفى حالة قيام اليابان بغزو الهنـــد سوف يواجه الغزاة بمقاومة مسلحة عنيفة وحرب العصابات،مثلما كان يدعو اليه نهرو وغيره من أعضاء الحزب تأييدا تاما . وكان هذا طابعا مميزا للطـــــريقة التى تسير بها الأمور فى مجـــــال السياسة حتى أن المراقبين لم يقولوا فى صيف سنة ١٩٥٢ : يا لهم من أغبياء متغطرسون هؤلاء الاستعماريون البريطانيون « ولكنهــم قالوا « انظروا .. ان حزبا مثــل حزب المؤتمر لم ينضج بعد بالقدر الكافى الذى يؤهله لنيل الحرية ، انهم ليســـوا سوى معـــوقين موتورين ضلوا طريقهم .. » .

وفى أثناء ذلك « كان اليـــابانيون قد احتلـوا مناطق أمامية مختلفة على حدود بورما ، لم يطردوا منها الا فى منتصف عام ١٩٤٤. وأصبحت عندئذ جميع المناطق الشرقية للهند البريطانية معرضـــة للخطر • ولم يكن البريطانيون يشكون فى ذلك على الاطلاق فقاموا فى شرق البنغال بحرق جميع المراكب النهرية وكانت هى الوسائل الوحيدة للمواصلات ، كما تم اتلاف جزء من منشئات المينـــاء فى مدراس بعد أن ورد تقرير يفيد أن اليـــابانيين يعتـــزمون انزال جنودهم فى المدينة •

وفى مساء الثالث من أغسطس سنة ١٩٤٢ ، نشر حزب المؤتمر الهندى رده التاريخى على كل من كريبس وتشرشل ، وهو المعروف بقرار (ارحلوا عن الهنـــد) وجاء فيه : فقد ســئمنا مخادعاتكم وترهاتكم ، اعطوا البلاد حريتهـــا الآن ، وسندافع عنها كمـــا دافع الصينيون والروس والبريطانيون عن أوطانهم ، ان حـــرية الهند سوف تصبح فى وقت واحد ومزا وبداية لتحرر جميـــع الشعوب الأسيوية » ••

وكتب نهـرو فى كتابه « اكتشاف الهند » (الذى ألفه سنة ١٩٤٤ ولم ينشر الا فى سنة ١٩٤٦) يقول : « ان ماحدث فى الهند سنة ١٩٤٢ ، لم يكن انفجارا مفاجئا ولكنه كان ذروة الأحداث التى سبقته وقد كتب عن هذه الأحداث الشىء الكثير ، ولـــكن أكثر الكتاب أخطأوا تقـــدير مغزاها ، ذلك أنهم تحدثوا فى كتاباتهم عن الدوافع السياسية ، بينما فى قاع المشكلة ، كان يكمن الشعور الملتهب بأنه لم يعد من الممكن تحمل الحياة فى ظل السيطرة الأجنبية المستبدة » •

وفى ٩ أغسطس ألقى القبض على عدد كبير من أعضاء الحزب ، وبلـغ عدد من ألقى القبض عليهم فى بومباى وحدها ١٣٠ عضوا من أعضاء الحزب ، كان بينـــهم غاندى ونهرو وأبوالكلام أزاد ، الرئيس المسلم لحزب المؤتمر ، اعتقلوا جميعا فى قلعة أهمادناجار ،

وكانت الاضطرابات فى ذلك الوقت قد عمت جميع أنحاء البلاد ،
وهاجم الشعب ، فى مناطق كثيرة ، ودون أى تحريض ، رمز
الطغيان البريطانى : أقسام البوليس ، والسكك الحديدية والمحطات
ومكاتب التلغراف وخطوط التليفون والسيارات الحربية وأطلقت
قوات الجيش والبوليس البريطانية والهندية النيران على حشود
الشعب العزلاء (وأعلنت التقارير البريطانية أنه حدث ٥٣٠ حادث
من هذا النوع) وقصفت طائرات سلاح الطيران الملكى بقنابلها
كثيرا من القرى ، وفى أماكن مختلفة كان الناس يضربون ضربا
عنيفا فى الشوارع وأحدثت الاضرابات التى كادت أن تشمل كل
مكان توترا عنيفا للغاية ، وفى محلة جاتسدبور ، المشهورة بصناعة
الصلب ، أضرب جميع العمال واستمروا فيه ٢٤ يوما ، وفى احمد
اباد استغرق الاضراب ثلاثة شهور ، وفقد البريطانيون
مائة قتيل ، وبلغ عددضحايا «الارهابيين» الوطنيين طبقا لما ورد فى
التقارير البريطانية على الأقل ١٠٢٨ قتيلا ، ولكن نهرو يذكر أن
العدد الحقيقى للضحايا يدخل فى حدود ١٠ الاف قتيل . .

ولابد من الاعتراف بان الوضع فى الهند كان مماثلا جدا
للأوضاع التى كانت موجودة فى البلاد التى احتلها النازيون ولم
يكن يصل الى الخارج ، فى أمريكا وفى بريطانيا نفسها الا القليل
جدا من الأنباء عما كان يحدث فى الهند ، واستمر البريطانيون
يمسكون زمام السلطة والقوا فى شهر ديسمبر القبض على ٦٠ ألف
شخص آخرين ، ولم يفرج عن أكثر المعتقلين ، ومن بينهم زعماء
حزب المؤتمر ، حتى سنة ١٩٤٥ .

ولكن قبل أن تختفى الشخصيات الكبيرة فى حزب المؤتمر عن
الانظار وهو حدث أفاد جناح وحوارييه فائدة كبيرة ، كان
الشيوعيون قد غيروا من خططهم ..

وكانت السلطات البريطانية فى الفترة مابين ٣٩ و ١٩٤١ قد
القت القبض على عدد كبير من الشيوعيين وارسلتهم الى السجون

لنشاطهم ضد الحرب الاستعمارية . ولكن عندما غزا الالمان الاتحاد السوفيتي قدم احد المسئولين البريطانيين الكبار ، الى الشيوعيين المسجونين ، ومن بينهم جوشي ، زعيم الحزب الشيوعى ، خطابا من سكرتير الحزب الشيوعي البريطاني يخبرهم فيه بانهم اذا ساعدوا الحكومة في الحرب ضد الفاشية ، فانهم سوف ينالون حريتهم . فرضخ جوشي وأصدقاؤه لذلك . وكانت القوات الالمانية تندفع في ذلك الوقت نحو منطقة الفولجا والقوقاز ، وبذلك أصبحت بلاد لينين وستالين وحزبهما يواجهان خطرا عنيفا »

وفي يوليو سنة ١٩٤٢ ، طالب جوشى برفع الحظر عن الحزب الشيوعى . وكان ذلك في منتصف الفترة التى قضاها كريبس في الهند ، ونظر عدد كبير من الهنود الى التغير في سياسة الشيوعيين على انه خيانة للحركة الوطنية ، وتبادل غاندى وجوشي المراسلات ، نشرت في بومباى سنة ١٩٤٥ ، وهي مراسلات ممتعة للغاية . ولم يكن من السهل على الشيوعيين أن يثيروا اهتمام شعب آسيوى بمسالة كان الكثيرون يعتبرونها مسالة تهم الأوروبيين وحدهم وهي مسالة الحرب ضد الفاشية وتحريرأوروبا والاتحاد السوفييتى من السيطرة النازية ، بينما كان وطنهم نفسه يعانى من الارهاب البريطانى وعندما حاول الحزب في صيف سنة ١٩٤٢ وخريفها منع الاضرابات جلب عليه كراهية جميع الوطنيين اليمينيين .

وكان الشيوعيون فى الهند يتمتعون بحرية ملحوظة في التصرف اذا ماقورنوا بالاحزاب اليسارية في الدول الأخرى (مثل ايران والعراق) وكان الكثيرون من المثقفين فيه لهم نظرة عالمية لذلك احتفظ الحزب بتماسكه وبدلا من أن يغمره الطوفان الوطنى ، كما كان يعتقد الكثيرون ، ازدادت قوته .

وكان هناك شخص آخر يمثل تيار السياسة المتطرفة وهو سوبهاس شاندرابوز ، ففي سنة ١٩٤١ فر سوبهاس من البلاد

ونادى بسياسة « آسيا للاسيويين » وكان من نتيجة تحريضه ، ان انشىء فى جنوب شرقى آسيا حزب آسات هندى اى عصبة الاستقلال الهندى ، وأقيمت حكومة هندية حرة فى سنغافورة (سنة ١٩٤٣) وكون سوبهاس فى الوقت نفسه فرق المتطوعين لمحاربة البريطانيين من الهنود المقيمين فى الملايو وبورما ، بينما جمع الألمان من ألمانيا وغرب أوروبا ٤٠٠٠ هندى ومنهم أسرى شمال افريقيا وجندتهم •

ولم تكن لحركة بوز فى الهند والباكستان أية أهمية حقيقية وان يكن عدد كبير يؤيدها سرا • وقتل بوز وهو يحاول الهروب من اليابان الى بورما سنة ١٩٤٥ واعتبره الهنود هو وأتباعه رمزاً لآسيا المتحدة التى تحارب من أجل حريتها •

وكان للحرب ، فى الوقت نفسه ، تأثيرات اخرى ، فقد كانت الهند وباكستان المركز الرئيسي للصناعات الحربيةالبريطانية الكبرى فى آسيا حتى وان تكن بريطانيا خربت عمدا الطاقة الصناعية المتزايدة هناك ، على عكس ما فعلت فى كندا واستراليا•• وينطبق هذا كذلك على صناعات بناء السفن والآلات وانتاج السيارات ، رغم أن الأمريكيين كانت لديهم خطط جاهزة لانشاء مصانع فى الهند • ومع ذلك ففد كانت هذه الفترة بمثابة عصر ذهبى لملاك الأراضى ورجال الصناعة الكبار أمثال تاتا وبيرلا وداميا ولاصحاب صناعة غزل البحوث والقطن ونسجهما وحرر النمو الكبير فى الاقتصاد الوطنى البلاد من اعباء أجنبية كثيرة وبخاصة ديونها لبريطانيا •

اما حالة الفقر العامة والأجور الضئيلة التى يتقاضاها العمال والفلاحون ، فلم تمسسها يد التغيير ، واذا كان أى شىء قد تغير فيها فانما الى أسوأ ••• وأشهر مثل على هذه الحالة السيئة هو المجاعة التى حدثت سنة ٤٣ ـ ١٩٤٤ فى الشمال الشرقى وجنوب البلاد ومات أثناءها ٣ مليون و٤٠٠ ألف جوعا فى السنغال • وهذه

الاحصاءات قامت بها جامعة كالكوتا . وقررت الحكومة البريطانية ان مايتراوح بين ١٫٥٠٠٫٠٠٠ و ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ شخص ماتوا بسبب انتشار المجاعة وكانت هذه الكارثة نتيجة مرعبة لعدم المبالاة الذى أبدته الادارة وبالاضافة الى ذلك كانت توجد صعوبات فى عمليات النقد وارتباكات فى الجهاز الاقتصادى واضمحلت قيمة النقد فى البلاد من جراء التضخم ، كما أن تجار الحبوب والأرز أخفوها فى مخازنهم ولم يعد الأرز يصل من جنوب شرقى آسيا ومع ذلك فهذه الأمور كلها كانت بمثابة مقدمة موحية لعهد الاستقلال .

وفى مايو سنة ١٩٤٥ استسلمت ألمانيا ودارت مفاوضات فى سيلا بين لورد ويفيل (٤٣ ـ ١٩٤٧) نائب الملك ، وبين جناح ولياقت على خان والمسجونين الذين أطلق سراحهم مثل نهرو وديساى وأزاد وغيرهم ولكن هذه المفاوضات تحطمت خلال بضعة أيام (بدأت فى ٢٥ يونيو وتوقفت فى ٢٩ منه) وبدا واضحا فى أغسطس سنة ١٩٤٥ ، أن البلاد لم تكن أكثر حرية مما كانت سنة ١٩٣٩ ومع ذلك فقد كانت الحرية فى الطريق . أما كيف حققت الهند حريتها ، فهذا ما سنتحدث عنه فى القسم التالى من الكتاب .

٥

بورما وسيام وأندونيسيا والملايو

لقد لعبت الحروب دورا كبيرا فى اثارة الوعى فى آسيا — الحروب الصينية اليابانية فى سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٥ ، والحروب الاسبانية الامريكية سنة ١٨٩٨ والغزوات الغربية للصين سنة ١٩٠٠ ، والحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ والحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤— ١٩١٨ ، وحرب الاستقلال التركية سنة ١٩١٩— ١٩٢٣ ، التدخل والحرب الأهلية فى الاتحاد السوفييتى سنة ١٩١٧ — ١٩٢٤ والغز اليابانى لمنشوريا سنة ١٩٣١ ، والغز اليابانى للصين ١٩٣٧ ، ثم بطبيعة الحال ، وبصفة خاصة ، الحرب العالمية الثانية ..

ولقد لاحظ المراقبون الاجانب سنة ١٩٤٥ كيف أن حركة التحرر ، التى كانت ضعيفة فى القارة نسبيا من قبل ، قد ازدادت ونمت فى جنوب شرقى آسيا أثناء الاحتلال اليابانى . وكان أحد أسباب هذا الضعف النسبى ، — ونحن نركز على كلمة نسبى — للحركة الوطنية فى دول مثل بورما والملايو بصفة خاصة ، هو —كما قلنا من قبل — الانقسامات التى كانت موجودة بين السكان . ونرى من اللازم ان نذكر هذا مرة اخرى ، لان مثل هذه الانقسامات مازال لها تأثير فى الوقت الراهن . أليس من الواجب أن تؤدى دراسة التاريخ الى مساعدتنا فى نهاية الامر على الوصول الى فهم أعمق للتاريخ المعاصر والمستقبل ؟. أليس حقا ما قاله كاتب انجليزى « ان التاريخ هو علم السياسة فى الماضى ، وعلم السياسة هو تاريخ الحاضر » ان هذا ليس اكتشافا غريبا ، وذلك لان المؤرخين الصينيين عرفوه منذ زمن بعيد ، ولكن أوروبا

طورت الأسلوب والتطبيقات الفنية الضرورية ، أولا فى القـــرن الثامن عشر ، بمساعدة المؤرخين الذين يمكنهم الغوص في مجاهل الماضى بعمق اكثر وهدف أكثر تحديدا وموضوعية اكثر من ذى قبل فكيف يمكن تفسير الخلاف الشاسع بين حركة التحــرر فى جنوب شرقى القارة ، وبين حركة التحرر فى الهنـــد البريطانية وجزر الهند الشرقية الهولندية والفلبين ؟ .

يرجع هذا الخلاف أولا وقبل كل شىء الى أن ذلك الجزء من آسيا لم يكن على وجه العموم فى فترة ماقبل قدوم البيض مستقلا ولكنه كان مجرد منفذ للثقافة الصينية ، ومنطقة حدود بين الصين والهند ، والصين واندونيسيا . واسم الهنـــد الصينية الذى استخدم بصفة عامة فى أوروبا خير دليل على ذلك ..

وفى العصور الحديثة وضع تيار الهجرة النشيط بين الصين والهند الحركة الوطنية فى مركز دفاعى مزدوج . وانقسم الوطنيون فى جميع هذه الدول فى حماسهم للبيض وللاسيويين ففى بورماكان يوجد الهنود والبريطانيون ، وفى الملايو الصينيون والبريطانيون ، وفى الهند الصينيون والفرنسيون ، وفى تايلاند الصينيـــــون والفرنسيون والبريطانيون . وقطفت كل من لندن وباريس بل وطوكيو كذلك ثمار هذا الانقسام الداخلى فى هذه البـلاد ، وفى قومياتها التى اختلفت فى أهدافها ، وكان لكل دولة زمانها ، وكان زمن طوكيو من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٤٥ ..

بدأت الحرب فى بورما فى الواقع فى شتاء سنة ١٩٤٠ وكــان الالمان قد قهروا الدانيمرك والنرويج فى شهر ابريل من هذه السنة وقهروا هولندا وبلجيكا وفرنسا فى شهرى مايو ويونيو . وهــكذا حوصرت بريطانيا . وتحقق اليابانيون من أثر ذلك على آســـيا وسعوا لعزل الصين كلية عن الغرب وبدأ ضغط اليابان على الادارة الفرنسية فى الهند الصينية فى شهر يونيو سنة ١٩٤٠ ، ووضعت

العراقيل فى المواصلات الى الصين عن طريق الخط الحديدى بين هايفونج وكونمنج .

وفى منتصف شهر يوليو تعرضت بريطانيا لضغط عنيف ، اذ كانت بريطانيا قد قفلت طريق النقل عبر بورما ، وهو الطريق الجبلى الذى تم انشاؤه فى شهر مايو سنة ١٩٣٩ ،والذى يبدأ من شمال بورما الى شونجنكنج وهو طريق المواصلات الوحيد المأمون نسبيا بين الصين والدول الاخرى ، هذا اذا استثنينا الطـــريق الشمالى الغربى الوعر الموصل الى آسيا السوفيتية ، وعندما تأخر الغزو الالمانى لبريطانيا شرعت اليابان تنسف بقنابل طائراتهاالطرق التى تؤدى الى خارج الهند الصينية داخل وخارج حدود الصين ، وكانت بريطانيا فى أثناء ذلك تحاول كسب شعب بورما وضمه الى المعسكر الغربى فأطلقت سراح عدد كبير من المسجونين ، وقيدت دخول الصينيين والهنود المهاجرين غير المرغوب فيهم ، ولكن دون جدوى . كانت ساعة بريطانيا قد آذنت بالانتهاء وأصبح عدد كبير من البورميين يأمل فى أن تتحقق له الحرية من الشرق (أى عن طريق اليابان) ..

ويرجع تاريخ الاتفاقية السرية التى عقـــدت بين طوكيو والوطنيين البورميين المنضوين تحت لواء الحزب الوطنى الثورى الذى كان ينتمى اليه باماو وغالبية الثاكيين ، الى بداية ســـنة ١٩٤٠ . وقد تضمنت الاتفاقية خططا لتكوين جيش التحـــرر البورمى ولحصول البلاد على استقلالها بعـــد الاحتلال اليابانى المنتظر وكان عدد كبير من البورميين قد انضم الى هذا الجيش السرى اثناء فترة الحكم البريطانى ، واحيانا علانية ، بينما ارسلت اليابان عن طريق سيام تعليمات زاهرة وأوامر مبهمة ، ولكنها لم ترسل من البنادق الا قليلا . وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ وبينما كان يوساو فى لندن يطلب الاستقلال من تشرشل اندفعت القـــوات اليابانية تغزو دول لجنوب شرقى آسيا ، واقتحمت بورما فى أوائل

سنة ١٩٤٢ ، ووصلت الى رانجون ، ميناء تجارة الارز ومقر الحكومة فى ٧ مارس ، واحتلت لاشيو ، الواقعة عند مقدمة طريق بورما فى ٣٠ ابريل واحتلت ماندالاى فى ٢ مايو . وفرت القوات البريطانية تجاه الغرب وأصبح سير باوتون رئيسا لحكومة المنفى فى سيملا ..

ووصل سادة البلاد فى امان بالسيارات ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للاربعمائة الف هندى ، وكان ما واجههم من مشاق خلال سفرهم بالناقلات طوال أسبوع عبر الغابات الى الحدود حيث تحالفت عليهم المجاعة وقطاع الطرق والعصابات والبعوض بمثابة قصة محزنة ..

وما أن انتصف عام ١٩٤٢ حتى كانت القوات اليابانية قد أكملت احتلالها لأراضى بورما كلها ولم يبق سوى تلال أراكان التى تفصل الامبراطورية البريطانية فى آسيا عن الامبراطورية اليابانية . وفى الشمال كان الصينيون ما يزالون يدافعون عن حدودهم ..

ولكن لم يحدث حتى ذلك الوقت اى اجراء تجاه تحقيق استقلال بورما ، بالرغم من أن حكومة باماو المؤقتة التى تولت الحكم فى اغسطس سنة ١٩٤٢ الى اغسطس ١٩٤٣ حسنت الموقف داخل البلاد نسبيا ، وكانت حكومة باماو تضم ثان تون (شيوعى) وميا ونو (من الاشتراكيين) الثاكيين ، وتولى أونج سان وزارة الحربية أى قيادة جيش تحرير بورما ، الذى ظل يتولى قيادته العليا الكلونيل اليابانى مينامى ..

وعندما بدأت صورة الأحداث تتغير فى افريقيا وبورما وأوروبا وفى الباسفيك كذلك فى عام ١٩٤٣ ، غير اليابانيون خططهم فى المناطق المحتلة ، وفى أول اغسطس اعلن اللفتنانت جنرال كاوابى القائد اليابانى المسئول فى رانجون الاستقلال التام لبورما ، فقد تحققت اليابان فى ذلك الوقت أن عهد التوسع قد ولى ، وكان للانباء

السيئة الواردة من ستالينجراد وأخبار استسلام القوات الايطالية الالمانية فى افريقيا وغزو ايطاليا ، والنشاط الامريكى الجديد فى غيانا الجديدة وفوق هذا كله الخطط الانجلو صينية لاستعادة بورما وفتح الطريق البرى الموصل الى جنوب غربى الصين تأثيرها على طوكيو . ألم يكن جيش اليابان يعد الخطة للدفاع عن جبهتى آراكان ويونان والخط الجديد للمواصلات بين تايلاند وجنوبى بورما ؟.

كان هذا هو الخط الحديدى البورمى السىء السمعة - ويراعى الا نخلط بينه وبين بورما - فيما بين راتبورى بالقرب من نانجكوك عبر الغابات مباشرة ومتجه الى مولمين ، الذى كلف انشاؤه عددا كبيرا من الاسيويين والاوروبيين حياتهم ..

ولقد كان الاستقلال الذى نالته بورما تحررا رغم كل القيود التى فرضت عليه . حتى وان كان الاحتلال اليابانى قد استمر بطبيعة الحال حتى نهاية الحرب ، وبالرغم من أن نشاط البوليس السرى اليابانى كان مسيئا للغاية ، وكان من نتيجة هذا ان اليابانيين لم يفوزوا الا بتأييد أقلية من شعب بورما ، بما فيها كتلة الحرية بزعامة باماو (التى تكونت فى فبراير سنة ١٩٤٠) وحزب يوشيت اليمينى بزعامة يوساو الذى ظل معتقلا فى كينيا منذ يناير ١٩٤٢ ، وقبل فريق آخر يضم عددا من الثاكيين واونج سان ، تولى مناصب فى الحكومة لمجرد أسباب تكتيكية . وابتعد فريق آخر ، غالبيته من الشيوعيين والاشتراكيين اليساريين ، عن هذا النظام الذى كانت مظاهره كلها تدل على أنه نظام ممعن فى الفاشية . وبدأت فى سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ حركة سرية معادية لليابانيين هى عصبة الحرية المعادية للفاشية وهى العصبة التى تولى زعامتها الثاكيان ثان تون واونج سان سنة ١٩٤٤ و ١٩٤٥ والى جانب هذه الاحزاب ذات الوجوه المزدوجة كان للحركة السرية اتصالات عديدة مع حكومة باماو . ومثلما حدث فى المناطق

الأخرى من آسيا وفى أجزاء متعددة من أوروبا مثل ذلك فرنسا وايطاليا ويوغوسلافيا كان قلب حركة المقاومة يتألف من اليساريين .

وكان ثاكين ثين بى ضابط اتصال بين ثان تون وأونج سان ، ومونتباتن القائد البريطانى الأعلى فى جنوب شرقى آسيا وسير باوتون فى سيملا . وقام سو بزيارات شبه سرية للقرى حيث أدار معارك حرب العصابات وسعى الى توجيه ثورة الفلاحين النامية فى طرق سليمة ..

وحدث سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ فى أجزاء كثيرة من البلاد أن ايجارات الاراضى لم تجمع بسبب نشاط حركة المقاومة وسوء المواصلات وبسبب فرار عدد كبير من ملاك الأراضى مثل الشيتاريين الهنود ، من البلاد ، وعندما جاء التحرر ، ظهر واضحا أن الفلاحين لم يكن لديهم أى ميل للاعتراف بالحقوق القديمة لسادتهم السابقين سواء كانوا مواطنين أو أجانب .

وفى هذا الوقت كانت الامبراطورية اليابانية آخذة فى التقلص واصبحت المواصلات بين اجزاء الامبراطورية المختلفة فى غاية الصعوبة والمشقة بعدما غرق عدد كبير من السفن اليابانية ، ونزلت القوات الامريكية والاسترالية شرق اندونيسيا والفلبين ..

وكلما ترنح الصرح الشامخ الذى بناه اليابانيون ازدادت حركة المقاومة قوة فى البلاد المحتلة ..

وعمل جيش المقاومة فى شتاء ١٩٤٤ - ١٩٤٥ على تهريب كمية كبيرة من الاسلحة البريطانية الى داخل بورما عن طريق الجو احيانا والتسلل عبر الخطوط اليابانية أحيانا أخرى ، وكانت هذه هى بداية التحرر فى الشمال والغرب . وكان الجيش البريطانى فى الجنوب شرقى آسيا على أهبة الاستعداد فى تلال الهند الشرقية ..

وفي شهر مارس توجه أونج سان من ناندى الى سيلان ، حيث بحث مع مونتباتن خطة الحملة . وبعد ذلك بأسبوعين تمرد جيش تحرير بورما ضد ضباطه اليابانيين . وبينما كان رجال العصابات يقومون فى كل مكان بقطع خطوط المواصلات اليابانية بدأت قوات الجيش البريطانى الرابع عشر الهجوم ، تؤيدها فرق من القوات الأمريكية والصينية واحتلت القوات البريطانية ماندالاى من جديد فى ٢٢ مارس .. وفى ٣ مايو احتلت رانجون ..

وما أن حل شهر يونيو ، حتى كانت جميع مناطق البلاد قد حررت ولكن من اليابانيين وحدهم وليس من البريطانيين . ويتضح من الكتاب الابيض الذى صدر سنة ١٩٤٥ ، ان حكومة تشرشل لم تكن تعتزم رد الحرية لبورما .

ولكن احدا لا يمكنه تغيير مجرى التاريخ ، سواء كان فى بورما او فى الهند وباكستان او فى اندونيسيا او فى الهند الصينية أو فى كوريا أو فى مصر ، أو فى أى مكان آخر من العالم . وفى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ذهب هذا المجرى الى حد جعل ثاكين نو واتلى رئيس الوازرة البريطانية الاشتراكى ، الى توقيع معاهدة فى لنـــــدن ، أصبح اتحاد بورما (بيى ـ دوجن ـ سو ـ ميانما ـ ناينج ـجان) بموجبها دولة مستقلة استقلالا تاما خارج الكومنولث البريطانى . وفى سنة ١٩٤٤ تبين الفيلد مارشال بيبول سونجرام ، الذى رأس حكومة سيام (تايلاند) فى الفترة الحرجة مابين ١٩٣٨ و١٩٤٤المعنى الحقيى للهجوم الالمانى على اوروبا الغربية وتوغل اليابانيين فى الهند الصينية ، وقصف طريق بورما بالقنابل ، فأقـدم على تـــكييف سياسته وفقا لهذا التطور وكان اليابانيون فى سنة ١٩٤١ قــد أرغموا على توقيع معاهدة مع سيام استردت سيام بموجبها ثلاث مقاطعات من كمبوديا غنية بمزارع الارز والمطاط ، كانت فرنسا قد استولت عليها سنة ١٩٠٧ ، وهى مقاطعات باتاميانج وسييمريب وسيسوفون كما أخذت سيام كذلك بعض أجزاء من لاوس تقع

غرب نهر ميكونج وهذا ما جعل سيام تقترب من اليابان وتبتعد عن أوروبا الغربية وسعت سيام فى الوقت نفسه الى الاتصال بموسكو حتى تتمكن من تصدير منتجاتها من الصفيح والمطاط والقطن الى المانيا عن طريق ميناء فلاديفستك وخط السكة الحديد عبر سيبريا ولكن هذه الخطط انهارت بعد وقوع أحداث شرق أوروبا فى يونيو ، وفى الباسفيك فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ..

ولقد روينا من قبل كيف أن تايلاند فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ لم تصمد للغزو اليابانى سوى خمس ساعات ولم يكن هذا الصمود حينذاك يتسم بأى حيوية وهكذا دخلت فى منطقة النفوذ اليابانية اقتصاديا وعسكريا وبقيت تايلاند مستقلة من الناحية الدبلوماسية كما أعلنت ذلك المعاهدة الثقافية التى وقعت فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤١ فى بانكوك ولم تقاس من السيطرة الأجنبية سوى القليل ، مقارنة بما كان يحدث البلدان الاخرى المحتلة فى آسيا وأوروبا ..

وعلى العكس ، استفادت تايلاند من الاحتلال اليابانى . فعندما اهتز مركز اليابانيين فى البحار الجنوبية سنة ١٩٤٣ سمحت طوكيو لتايلاند باستعادة المناطق التى كانت تملكها من قبل وهى ممالك الملايو الاربع : كيلانتا وترنجانو وكيداه وبيرليس ، وهى الممالك التى كانت بريطانيا قد ضمتها الى الملايو سنة ١٩٠٩ كذلك مملكتا كينتونج ومونج - بان الجبليتان الصغيرتان ، اللتان الحقتا ببورما سنة ١٨٨٦ ثم منطقة الحدود بين تايلاند وولاية يونان الصينية فى وادى سالوين ، غرب نهر الميكونج . وكانت هذه الزيادة الثانية فى أراضى تايلاند سببا فى تقديم تاريخ اعلان استقلال بورما ..

وأثناء ذلك كان بيبول سونجرام قد أعلن الحرب على بريطانيا

والولايات المتحدة فى ٢٥ يناير سنة ١٩٤٢ فأجابت بريطانيا على هذا التصرف برفق ، ولزمت الولايات المتحدة الصمت ، اذ كانت تعتبر تايلاند بلدا محتلا تملى طوكيو عليها سياستها الخارجية ..

وحدث فى بداية عهد اليابانيين أن بدأت حركة « ثاى الحرة » نشاطها بزعامة بريدى ورفاقه (كان من بينهم شيوش ، زعيم الصينيين اليساريين وعدد قليل من الشيوعيين الوطنيين) وقامت هذه الحركة بارسال الاخبار الى الخارج وادارت عمليات التجسس وتتبعت الطيــــارين الامريكيين الذين نزلوا بطائراتهم فى تايلاند ووضعت العراقيل فى طريق عمليات النهب الاقتصادى فى البلاد . وداوم بيردى اتصاله بالحكومة مثلما فعلت حركة المقاومة فى بورما، وعندما ضربت الطائرات الامريكية بانكوك بقنابلهـــا عدة مرات فى شهر يوليو سنة ١٩٤٤ تم استبدال الفيلد مارشال كوانج فانوونج وعلم البوليس السرى بكل شيء عن نشاط جمعية « ثاى الحرة » ولكن اليابان لم تكن تميل كثيرا فى ذلك الوقت الى اثارة اضطراب جديد فى آسيا وارضت نفسها بأن وجهت انذارا بأنهـــا لن تترك الأمور تتطور أكثر من ذلك . وتصرفت حكومة فايوونج طبقا لذلك

وقامت الطائرات البريطانية والامريكية أثناء الليـــل باسقاط الاسلحة لرجال العصابات كما كانت تفعل فى أوروبا وللطلبــــة السياسيين الذين كانوا يعملون كضباط اتصال ومرشدين .

ونالت البلاد كلها حريتها مرة أخرى فى أغسطس سنة ١٩٤٥، واستمرت على هذا الحال ، بعكس ما حدث لبورما والملايو والهند الصينية واندونيسيا . وقد وافق زعماء الحلفـــاء على ذلك فى مؤتمر يالتا ، وكان ذلك من ناحية ردا لجميل بريدى واصدقائه ، ولكنه كان من ناحية أخرى فيما يتعلق بكل من الولايات المتحـدة والصــــين وروسيا منعا لبريطانيا من التدخل الخطير وذلك لأن تشرشل فيما يتعلق بتايلاند كانت تراوده الأطماع وكــــذلك الرغبة فى الانتقام ولا بد من الاعتراف بأن تايلاند أدارت أمورها بمهارة مثلما فعلت فى عهودها الأولى بين صخـــور السياســـات الاستعمارية وكثبان رمالها واستعادت بريطانيا المناطـــق التى فقدتها سنة ١٩٤٣ فى شمال بورما وشمال الملايو ، واستعـادت

فارسلت عدة سفن مملوءة بالارز الى الهند وباكستان وغيرها من فرنسا ممتلكاتها فى الهند الصينية وبادرت تايلاند من تلقاء نفسها البلدان وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين تايلاند وكل من بريطانيا والولايات المتحدة والصين والاتحاد السوفييتى سنة ١٩٤٦ ، ولم يحدث أى شىء ضد سيام ما عدا اشتراط بريطانيا الا تنشأ قناة بين بحر الصين الجنوبى والمحيط الهندى عبر الاراضى التايلاندية فى برزخ الملايو ، دون موافقة بريطانيا أولا وتتويجا لوضعها المستقل الذى استردته قبلت تايلاند عضوا فى الامم المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، فى المكان الرابع بعد افغانستان ، وايسلند والسويد ، هذا عدا الدول الاعضاء المؤسسين بطبيعة الحال ..

فى شهر يونيو سنة ١٩٤١ سقطت باريس ، مدينة الثورة ، ورمز الحرية بالنسبة لجميع دول العالم ، وبذلك ضم هتلر كل أوروبا الغربية الى امبراطوريته ..

وفى ٢٧ سبتمبر اتفقت المانيا وايطاليا واليابان على الخطط السرية للحرب وكانت هذه الخطط بمثابة تنسيق للتوسع الفاشستى فى أوروبا وفى أفريقيا الذى بدأ سنة ١٩٣٥ والتوسع اليابانى فى جنوب آسيا الذى كان قد بدأ بحادثة الصين سنة ١٩٣١ ..

ولم تبق هذه الخطط ببساطة حبرا على ورق . ففى صيف سنة ١٩٤٠ احتل اليابانيون عدة موان فى الهند الصينية بالاتفاق مع الحاكم العام ديكو ، الذى كان يميل بعض الشىء الى الفاشية ، وفى اغسطس اعترفت طوكيو بالسيادة الفرنسية وبوحدة البلاد وسلامتها ، ولكنها بدأت فى الوقت نفسه تستولى على الهند الصينية باسم فرنسا بطبيعة الحال .

ولم تكن الادارة الفرنسية قد توقفت قط عن رفض زيادة حرية السكان الوطنيين المحدودة جدا وبذلك لم تكن تختلف فى

شىء عن الادارة الهولندية والبريطانية فى مستعمراتها . ولقد سحقت القوات اليابانية فى المهد حركة تمرد قام بها الشيوعيون فى فوشن شينا وتبعت هذا المصير نفسه حركات أخرى مماثلة قامت فى تونكين وشمال أنام (فى ولايتى لانجسون وديبولونج) وكان عدد كبير من الفرنسيين يخافون استقلال الهند الصينية والصينيين اليساريين هناك وفى أى مكان ، أكثر مما يخافون من أوامر الضباط اليابانيين ومخادعاتهم ، أليست الفاشية والامبريالية متجانستان فى كل مكان ؟.. لقد عامل ديكو ، ذلك الرجعى الضيق التفكير ، وغيره من المسئولين الفرنسيين أيضا أولئك الضباط الاجانب كأنفسهم وكأفراد فى جيش متفوق حتى وان كانوا صفر البشرة ومعتدين ، أما الوطنيون من أهل البلاد فقد اعتبروهم مثيرى فتن ..

وما أن حل شتاء سنة ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ حتى كان الفرنسيون قد سلموا بالواقع دون أى اعتراض . اتضح ذلك فى بداية سنة ١٩٤١ ، عندما أخذت تايلاند ولايات الحدود من لاوس وكمبوديا .

وفى شهرى يوليو واغسطس ظهرت قوة احتلال يابانية قوامها فرقتان . وفى هذا الوقت بالذات كانت القوات الالمانية تتقدم فى أوكرانيا ، وواجهت كل من موسكو ولينينجراد والقاهرة تهديدا خطيرا ، وكانت ايران قد قسمت بين بريطانيا وروسيا ، لانها كانت بمثابة الجسر بين روسيا والبحر . ولم تكن الولايات المتحدة فى ذلك الوقت قد دخلت الحرب بعد ، تقف على أهبة الاستعداد ، ومنعت تصدير الحديد والصلب الى اليابان ، لأن الأمريكيين كانوا يعتقدون ان أطماع اليابانيين تمتد الى بعيد ولكن هذا لم يمنع اليابانيين بطبيعة الحال من مهاجمة الجزر الأمريكية فى الباسفيك فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ومن احتلال كل مناطق جنوب شرقى آسيا والجانب الغربى من الباسيفيك فى أقل من اثنى عشر أسبوعا .

ان هذه الحوادث لم يترتب عليها الا تغييرات قليلة فى الهند

الصينية . واستمر الموظفون فى مراكزهم يباشرون أعمالهم . فلم يعتقل الفرنسيون وزوجاتهم واطفالهم . وكانت الهند الصينية البلد الوحيد التى سمح فيها للاوروبيين بالبقاء فى حرية تامة فى بلد اسيوى يحتله اليابانيون .

ويجب ان نسجل هنا بعناية أن عددا قليلا من الفرنسيين الذين فكروا بصورة مختلفة عن غالبية مواطنيهم ، قد تركوا البلاد واذ رحلوا عن طريق الصين بعثوا بتقرير الى رئيسهم ، جنرال ديجول ، زعيم فرنسا الحرة . وانضم آخرون الى صفوف حركة المقاومة فى داخل البلاد ، وكانوا يرسلون المعلومات سرا وينشرون الانباء التى يسمعونها فى اذاعات العالم الحر . وفقد الكثيرون من هؤلاء حياتهم ولكن الغالبية العظمى من الفرنسيين كانوا يفعلون ما يمليه عليهم اليابانيون واعتنقوا فى الفترة الاولى على الاقل (١٩٤٠ - ١٩٤٣) آراء حكومة فيشى الفاشية ، بينما كان الالمان يستنزفون ثروات فرنسا من النبيذ والقمح والفحم وبينما كان العمال والجنود الفرنسيون يرسلون الى المانيا ..

وتخلى اليابانيون فى نهاية عهدهم فى الهند الصينية عن تقليد العدالة الفرنسية المشهورة ذلك انهم فى سنة ١٩٤٥ اعتقلوا الفرنسيين واعطوا للقومية الوطنية بعض حرية العمل . وقد كانت البلاد بطبيعة الحال من وجهة النظر الاقتصادية ، خلال سنين الحرب ، مرتعا للاستغلال اليابانى ففى خلال خطة السنوات الخمس التى وضعت سنة ١٩٤٢ ، استغل اليابانيون الهند الصينية بصفتها منطقة زراعة الجوت الرئيسية فى آسيا ، وفى سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ عمل الصينيون والهنود الصينيون فى الطريق الذى لم يتم انشاؤه قط ، الممتد من كوريا الى سنغافورة . وكانت هذه الحالة من حالات العمل الاجبارى مات خلالها عدد كبير من العمال أثناء العمل ..

وأثناء ذلك كان الثوريون قد نقلوا فى شتاء سنة ٤٠ - ١٩٤١

قاعدة عملياتهم من فيتنام الى جنوب الصين . وفى ليوشو القريبة جدا من مقر القيادة العـــامة للجيش اليابانى فى كانتون ، كون الشيوعيون والعاطفون عليهم « عصبة الاستقلال » لفيتنام بسنة ١٩٤١ وهى العصبة التى اشتهرت باسم « فيت منه » وكانت هذه العصبة ولا تزال ضد الفاشية وضد اليابانيين وضـــد الفرنسيين ، وكان زعيمها هو نجويين آى كووك ، الشيوعى الذى اتخذ لنفسه فيما بعد اسم « هوشى منه » .

ورحبت الحكومة الصينية فى ابتهاج بحركةالهند الصينيةوكان الصينيون يكرهون الادارة الفرنسية منذ قطعت سـنة ١٩٤٠ ، الخط الحديدى الموصل الى كونمنج ، وبهذا سهلت تقدم اليابانيين الى جنوب الصين ..

الم تحاول باريس استعمار اقليم يونان .. وألم تكن الهند الصينية ضمن الاراضى الصينية ذات يوم ؟ ومع ذلك فان ميول فييت منه الى الشيوعية كانت تضايق شونكنج ولذلك القى القبض على هوشى منه بتهمة التجسس لصالح فرنسا ، وبذل اليابانيون كل مجهود ممكن لبناء حزب للمقاومة فى الهند الصينية لا يعتنق الشيوعية وهو الحزب الذى عرف باسم « دونج منـــه هوى » (انشىء فى اكتوبر سنة ١٩٤٢ فى ليوشو) وكان عبارة عن امتداد لحركة الفنكد التى نشطت فى تمرد بينباى سنة ١٩٣٠ وكان الأمل معقودا على هذا الحزب فى أن يتمكن من امتصاص عصبة فييتمنه وتصفيتها ، وبذلك يخف تأثير السم الشيوعى .

ولكن سرعان ما تبين أن هذا كان سوء تقدير فان حركة فييت منه كانت من الوجهة النظرية جزءاً من جمعية دونج منه هوى فى الهند الصينية ولكنها ظلت بعيدة عنها ولم تكن مركز حـــركة المقاومة فى الهند الصينية هى جمعية دونج منه هوى وانما ظل فى جمعية فييت منه .

وكان هو ، الذى اطلق سراحه سنة ١٩٤٣ يتمتع مثل غاندى وصن يات صن ، بصفات كثيرة من صفات الثورى العظيم المكافح فى ساعة الخطر بكل ما اوتى من قوة من أجل الحرية وعندما بدأ الهنود الصينيون من الفريقين حرب العصابات ضد اليابانيين فى شمال تونكين ، وساعدت كل من الصين وفرنسا الحرة وامريكا رجال العصابات بالاسلحة كانت الفييت منه هى دائما على التقريب التى تتخذ مكان الصدارة ، وكان يقود حرب العصابات نيجوين جياب (ولد سنة ١٩١٢) وهو الذى تولى القيادة العليا فى حرب الاستقلال ضد الفرنسيين . وكان قد درس سنة ١٩٤٠ — ١٩٤٢ فى شمال الصين خطط ماوتسى تونج ورفاقه فى حرب العصابات ..

وفى هذا الوقت ، وخاصة سنة ١٩٤٢ ، كان الموقف فى الهند الصينية وفى اليابان ، وكذلك الموقف الدولى قد تغير ، كان الالمان يتقهقرون ويكادون يفرون بجلدهم من الاتحاد السوفييتى ، وتحررت فرنسا بعد نزول قوات الحلفاء فى نورماندى ، وكان الامريكيون يواصلون انتصاراتهم فى الباسفيك ، وانزلوا قواتهم فى الفلبين فى شهر أكتوبر . ووصلت التقارير والاوامر من ديجول الى الحكومة الفرنسية فى الهند الصينية وابدى عدد كبير من شعب الهند الصينية تعاطفا لحكومته الجديدة فى باريس المتحررة .

واستعادت القوات الأمريكية مانيلا فى فبراير سنة ١٩٤٥ وعزلت اليابان عن منطقة جنوب آسيا بسبب خسائرها الضخمة فى السفن . وناشدت طوكيو الفرنسيين فى شهر مارس مساعدتها فى حالة وقوع غزو أمريكى فلم يرد ديكو على هذا الطلب بالرفض او القبول ..

وفى ٩ مارس بدأت السلطات اليابانية تعتقل جميع الفرنسيين واستسلم الجيش الفرنسى فى بحر أسبوع ، عدا عدد قليل من

الكتائب شقت طريقها من تونكين الى الصين . وتطوع عدد قليل من الفرنسيين للعمل مع الفييت منه والدونج منه هوى ..

وفى ١١ مارس سنة ١٩٤٥ ، أعلنت اليابان استقلال جميع مناطق البلاد باستثناء لاوس وكمبوديا ، وذلك محاولة منها للاحتفاظ بزمام الأمور فى يدها ، وأطلق على الدولة الجديدة اسم « فيتنام » وهو اسم كان يستخدم فى القرن الثامن عشر للدلالة على تونكين وانام وكوشنشينا . وأصبح باوداى ، امبراطور انام ، امبراطورا لفيتنام ، وتولى تران ترونج كيم منصب رئيس الوزراء. وكانت الحكومة الجديدة صديقة جدا لليابان وتخلى الشعب بصفة عامة عن الامبراطور الضعيف المذبذب وعن اتباعه . فقد كانت الهند الصينية ترغب بشغف فى نيل الحرية والاستقلال الحقيقى فى ظل عصبة فييت منه ومنظمة الدونج منه هوى ، اللتين كان رجال العصابات التابعون لها قد حرروا بالفعل (فى مايو سنة ١٩٤٥) عددا من المقاطعات فى الشمال ..

وادرك باوداى وكيم حقيقة الموقف فى البلاد ، وعندما تحطمت احلام اليابانيين فى بناء امبراطورية كبيرة الى الابد وسط دخان خرائب هيروشيما فى شهر أغسطس ، اختفى الاثنان من الحكومة كيم فى ١٥ اغسطس والامبراطور فى ٢٦ من الشهر نفسه ، وقال الامبراطور انه يرغب فى أن يصبح مواطنا حرا فى دولة مستقلة .. وكانت لجنة التحرير التابعة لمنظمة فييت منه قد كونت فى

١٦ أغسطس حكومة عريضة القاعدة فى هانوى برياسة هو ؟ وأصبح باوداى بصفته المواطن فته ثوى مستشارا سياسيا له مكانته . وفى اليوم الثانى من سبتمبر ، أعلنت جمهورية فيتنام الديمقراطية للعالم استقلالها وتضمن اعلان الاستقلال عبارات كثيرة تذكر بعبارات الثورة الفرنسية والثورة الروسية ، كذلك بدأ الاعلان بترجمة للفقرة الثانية من اعلان استقلال أمريكا التى جاء فيها : « لقد خلق جميع الناس سواسية » .. وتلقوا من

خالقهم حقوقا ثابتة ... حق الحياة والحرية .. وحق اسـعاد انفسهم » ..

وقبلت حكومة هو فى البلاد كحكومة شرعية ولم يبد اليابانيون القليلون نسبيا أية مقاومة . واصبحت فيتنام تحـكم كدولة مستقلة ، ولم تكن بحال من الاحوال تعانى فراغـا سياسيا ، عندما بدات القوات البريطانية فى منتصف سبتمبر احتـلال البـلاد من الجنوب والقوات الصينية من الشمال . وقد تمت الموافقة على هذا الاحتلال فى بوتسدام فى شهر يوليو سنة ١٩٤٥، وتم تحديد الحدود بين منطقتى الاحتلال فى هوبه التى تقـع فى منتصف آنام عند خط عرض ١٦° وكان هنـاك تقسيم مماثل فى كوريا ، حيث نزع الروس والامريكيون سلاح القوات اليابانية .

وانطلقت القوات الصينية فى الشمال تسلب وتنهب وتغتصب ولم يبـد أن لديهـا اى اهتمام بالشئون الداخلية للبـلاد . اما البريطانيون فقد تصرفوا فى الجنوب بصورة مختلفة تماما ، فلم يكن لديهم اى شعور بالعداء للفرنسيين ونزلت فرق من قوات فرنسا الحرة عند سايجون فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٥ بالاضافة الى القوات البريطانية والهندية وأثناء ذلك كانت باريس قد شكت من أن القـائد العام البريطانى لم يتصرف بشـدة مع الثوار لذلك اقدمت القـوات الفرنسـية على احتـلال سـايجـون فى ٢٣ سبتمبر فلما سحبت بريطانيا قواتهـا فى فبراير سحبت الصين قواتها فى اغسطس سنة ١٩٤٦ ، كان قد أصبح للجنـرال لكليرك ، محرر باريس ، عدة فرق فى الهند الصينية ..

ان التحرر والحرية ليسا شيئا واحـدا تماما كما تبين مرة اخرى فى الهند الصينية . فقد وعد الجنرال ديجول أثناء الحرب بأن يحكم الهند الصينية «بروح مبادىء الثورة الفرنسية العظيمة» ولكن فرنسا رفضت عندئذ الاعتراف لمستعمراتها السابقة بأى

حق فى الحرية . وما حدث فى الهند الصينية هو عين ما حدث فى إندونيسيا أو فى المستعمرات البريطانية فى جنوب شرقى آسيا .، وحتى الحرية المقيدة التى ضمنتها للبلاد اتفاقيــــة دالات التى وقعت فى ٦مارس سنة ١٩٤٦ ، كانت تسبب ضيقا شـــديدا للسادة الفرنسيين والدوائر الرجعية الفرنسية التى ينتمى اليهـا دارجنليو ، المندوب السامى الفرنسى ..

ولم تكن الدسائس التى دبروها ضد الحكومة اليســارية الجديدة فى فرنسا البعيدة بلا نتائج او عواقب . فان اقـــدام فرنسا على ضرب هايفونج بالقنابل فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٦ كان يعنى البدء فيما سمى بصفة عامة « الحرب المروعة » وهى واحدة من اشد الحروب الاستعمارية مرارة وخطورة فى تاريخ فرنسـا او على الاقل حتى الآن ، ففى سنة ١٩٥٤ كان لفرنسا حوالى ٤٥٠ الف جندى فى ميدان القتال ، قدم نصفهم من أوروبا وشمـال افريقيا ، وكانت حربا مهولة استنزفت دماء الهند الصينيةوحطمت فرنسا فيها كل جسورها الى آسيا .

تقع جزيرة هاينان الصينية الكبيرة فى الركن الشمالى الغربى لبحر الصين الجنوبى ، فى مواجهة ساحل الهند الصينية وعلى بعد يتراوح ما بين ١٢٠ و ١٨٠ ميل ولقد حدث فى ساعات ميكرة من صبيحة سنة ١٩٣٩ أن ظهر أسطول يابانى كبير ، ولم يمض الا وقت قصير حتى اصبحت الجزيرة فى قبضة اليابانيين . وفى كلمات كالنبوءة قال شيانج كاى شيك : « ان هذا الغزو له مغزى دولى تاريخى ، اذ أن هذا الغزو يحدد نقطة البداية للهجوم اليابانى الشامل على جميع مناطق الباسفيك ، وكان بمثابة تهديد للهنـد الصينية ، وأدى فى فترة الحرب الى قطع المواصلات بين سنغافورة وهونج كونج وبين سنغافورة وجزر هاواى » ..

ومهما يكن من امر ، فان الحكومات الغربية لم تكن مستعدة ولا قادرة كذلك على فهم علامات الزمن حتى ولو كان احتـلال

هاينان ، مثله مثل غيره من الحوادث التي وقعت قبل ذلك في الشرق الأقصى قد تم عندما كانت أوروبا تعيش في جو من القلق والغضب .

فقد هاجم المتمردون الفاشيون مدينة برشلونة في شهر يناير سنة ١٩٣٥ حيث كان نهرو موجودا في ذلك الوقت في المدينة وامضى فيها بعض أيام الصيف أثناء ضربها بالقنابل ، وتحقق نهرو مما شاهده من أنه في هذه المدينة بالذات ، وليس في باريس أو لندن ، أو جنيف أو ميونيخ ، كان يجرى الدفاع عن الديمقراطية الاوروبية . وفي الاسابيع الاولى من شهر فبراير في وقت احتلال هاينان قام فرانكو بسحق مقاومة الاشتراكيين الأسبان ، بمساعدة حلفائه الالمان والايطاليين . وفي شهر مارس محا هتلر تشيكوسلوفاكيا من خريطة أوروبا ..

وأصبحت جزيرة هاينان ، كما خشى شيانج النقطة الأمامية للاستعمار الاسيوى ففي ٤ من ديسمبر سنة ١٩٤١ بينما كانت القوات الالمانية تشق طريقها الى ضواحي موسكو ابحر اسطول ياباني من هاينان واتجه ناحية الجنوب . وأنزل في اليوم نفسه ٤٥ الف جندي ليس في سنغافورة التي ضربت بالقنابل في ١٧ ديسمبر وانما على الساحل الشرقي للملايو ، وكانت تكفل سلامة جزيرة سنغافورة التي تعتبر رمزا لسيطرة الغرب على منطقة جنوب شرقي آسيا أو هكذا اعتقد الخبراء الحربيون مدافع بريطانيا عيار ١٥ بوصة المصوبة تجاه البحر ، ٣٥٠ من طائراتها وعدد من سفنها الحربية بينها الغواصتان «أمير ويلز» ، «ريبالس» اللتان وصلتا الى الجزيرة حينذاك — وكانت بريطانيا قد فرغت لتوها من انفاق خمسين مليون جنيه على الاعمال الدفاعية ..

وعندما وصلت أنباء نزول القوات اليابانية في الملايو ، ابحرت الغواصتان البريطانيتان من سنغافورة الى الشمال لتغرقا سفن النقل اليابانية ولكن العكس هو الذى حدث ، فقد اطلق اليابانيون

سيلا من الطوربيدات الجوية أصابت الغواصتين واغرقتهما كلتيهما في مياه بحر الصين الجنوبي ، ولم تكن السفن وحدهـــا ، حتى السفن البريطانية ، في أمان من الهجوم الجوي .

وبدأت دول الديمقراطية الغربية ترتجف فان فقدان هـــاتين الغواصتين في المياه الشرقية لم يكن يتلاءم مع الصورة التي كان الغرب يتصورها ورجعت آسيا بفكرها الى ســـنة ١٩٠٥ الى الحدث التاريخي عندما تحطم أسطول البلطيق الروسي في مضايق تسوشيما ..

وفي ١١ ديسمبر أعلنت المانيا وايطاليا الحــرب على الولايات المتحدة وفي هذا الاسبوع نفسه بدأ جيش ياماشيتا المهاجم يتحرك تجاه الجنوب في ثلاثة طوابير عبر شبه جزيرة الملايو ..

وفي ٨ من فبراير سنة ١٩٤٢ ، كانت القوات اليابانية تعبر المضيق المائي الذي يفصل الارض الرئيسية عن سنغافورة حيث وجدوا النيران مشتعلة بالفعل في مستودعات البترول . وفي ١٥ ديسمبر ، بينما كانت القوات اليابانية تغـــزو سومطرة ، كانت القلعة العنيدة في قبضة اليابانيين . وفي خلال سبعين يوما ، أخذ ياماشيتا ٧٠ الف أسير ، وتوقف تدفق المطاط الاسيوي علـــى بريطانيا وأمريكا وبذلك تفجرت خرافة « سنغافورة الحصينة » وكان ذلك كما قال تشرشل هو النكبة العظمى في تاريخ الامبراطورية البريطانية » ..

٦

اندونيسيا والفيليبين

لم يكن هناك قط أى غموض يكتنف أهداف اليابانيين فى المحيط الهادى : خلق امبراطورية يابانية تشمل آسيا من كوريا الى استراليا ثم الاستيلاء على سيبيريا الشرقية وكل جزر الباسفيك .

وفى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، عندما كانت بريطانيا وفرنسا مشغولتين بالحرب فى أوروبا ، كانت قوات الامبراطورية اليابانية قد احتلت بالفعل مناطق كثيرة فى الصين ، شملت جميع الموانى والجزر بما يعادل ربع مساحة الصين ، ويضم نصف عدد سكانها . وفى أوائل صيف سنة ١٩٤٠ ، ظهرت بوادر النكبة الاخيرة واعلنت أمريكا بكل وضوح أنها سوف تقاوم أية محاولة تبذلها طوكيو بأية وسيلة غير الوسائل الدبلوماسية لتغيير الاوضاع فى اندونيسيا التى كانت حينذاك جزر الهند الشرقية (١٧ ابريل سنة ١٩٤٠) .

وعندما هزم الألمان هولندا وفرنسا،واضافوهما الى امبراطوريتهم فى أوروبا ، توجه أ. كوباياشى ، وزير الاقتصاد اليابانى الى باتافيا كمراقب . وسرعان ما تبين انه ذهب الى هناك ليطالب بما تخلت عنه فرنسا من موانى وقواعد جوية وامتيازات اقتصادية فى الهند الصينية . وقبلت حكومة فيشى ورفضت حكومة هولندا فى لندن وموظفوها فى باتافيا ، ولم يكونوا ليتنازلوا الا عن قليل من الملح والنفط ولو كان كوباياشى يتوقع أن تكف بريطانيا عن الصراع

ان ضم اندونيسيا الى الامبراطورية اليابانية لم يسر على النهج اثناء قيامه بالتفاوض ، لما انتظر دون طائل ثم عاد الى بلده .

الذي سار عليه ضم الهند الصينية ، بل استلزم الحال على العكس ، الدخول في حرب .

واستأنف ك . يوشيزاوا المحادثات التجارية سنة ١٩٤١ ولم يكن هذا في ظاهر الامر الا لتأمين ماكان قد تم الحصول عليه نتيجة للقيود التي فرضت على الاجانب في اليابان نفسها . وكانت هذه الاجراءات تتم في سرية تامة تغطية لما كان يعد في أحواض السفن والمصانع اليابانية وفي معسكرات هاينان وفورموزا والهند الصينية .

وفي ٧ ديسمبر حل يوم بيرل هاربور الأسود . وبعد ذلك بأربع ساعات أعلنت الحكومة في باتافيا الحرب على اليابان ، رغم انه لم يكن هناك أحد وراءها سوى الهولنديين الموجودين في اندونيسيا . ألم يكن عناد الهولنديين وسوء فهمهم هما اللذان حالا دون نمو أندونيسيا الديموقراطية الحرة المعادية لليابانيين ؟

كان للأسطول الهولندي ثلاث طرادات وحوالي عشرين سفينة صغيرة ضئيلة القيمة في المياه الأندونيسية . كما كان للهولنديين جيش صغير قوامه ٤٠ ألف جندي مزود بأسلحة حديثة بعض الشيء يخضع منطقة من الجزر تمتد الى مايزيد عن ٣٠٠٠ ميل .

وبعد ذلك بثلاثة أسابيع ، وصلت العاصفة الى الحدود الاندونيسية وخيمت سحب سوداء على الأفق الشمالي . وسقطت هونج كونج (في ٢٥ ديسمبر) . ثم تلتها مانيلا (٢ يناير) ، ثم سقطت الملايو . وفي ٢٢ ديسمبر نزلت قوات البحرية اليابانية في بورنيو الشمالية البريطانية ، وفي ١٠ يناير سنة ١٩٤٢ نزلت القوات اليابانية في جزيرة تاراكان الأندونيسية الغنية بالبترول ، وفي النصف الثاني من يناير نزلت في شمال سيليبيز ، في الجزر الواقعة شمالي غيانا الجديدة وشرقيها وفي امبون (٣١ يناير) . ولم تستطع المعركة البحرية التي نشبت من ٢٤ الى ٢٧ يناير في

مضايق ماكاسار أن تحول دون تحرك سفن النقل اليابانية نحو الجنوب .

وتم بعد ذلك غزو جزيرتى بانكا وبوليتون حيث مناجم الصفيح بين سومطره وبورنيو ، ثم نزول المظليين اليابانيين فى منطقة حقول البترول فى باليمبانج (فيما بين ١٢ و ١٤ فبراير) ثم استيلاء القوات اليابانية على سنغافوره (فى ١٥ فبراير) وعلى أجزاء من جزيرة بالى (فى ١٨ فبراير) ، وقد أدى هذا كله الى عزل جزيرة جاوا تماما .

وفى اليوم التالى ، أغارت الطائرات اليابانية على ميناء داروين وهو الميناء الوحيد الذى يقع على الساحل الشمالى لاستراليا وضربته بالقنابل . ولقد اعتبرت المحاولة اليائسة المعروفة باسم معركة بحر جاوا ، (من ٢٧ ــ ٢٨ فبراير) التى بذلتها السفن البريطانية والهولندية والامريكية لمنع سفن النقل اليابانية من الوصول الى جزيرة جاوا ، من وجهة النظر العسكرية الصرفة ، عملية هوجاء ، حتى ولو كتبت تفاصيلها ــ وبحق ــ بحروف من ذهب فى تاريخ الأسطول الهولندى ، فلم ينجح الا اربع سفن امريكية صغيرة فى الهروب ، أما بقية السفن فقد أغرقت

واستغرقت عملية الاحتلال الفعلى لجاوا مدة أسبوع ، ووقعت وثيقة الاستسلام فى باندونج فى ٩ مارس . وكان هذا يعنى الهزيمة للحكومة الهولندية فى أندونيسيا ، وان يكن أحد حينذاك لا يعرف ذلك أو يرغب فى معرفته وكان اليابانيون قد أعدوا من قبل حملتهم بوقف خطط الحكم فى المناطق المحتلة أما أندونيسيا فقد اختلفت الآراء بشأنها . فقد كانت خطط سلطات الاحتلال تهدف أولا وقبل كل شىء الى صبغ أندونيسيا بالطابع اليابانى وأبعادها عن الغرب

(بيرجرا كان تيجا . ابريل سنة ١٩٤٢ : نيبون)اليابان) نور آسيا، حامى حمى آسيا ، زعيم آسيا) بالاهمية القصوى لثقافة محرريهم

ولغتهم وتاريخهم وبطبيعة الحال فان التاريخ وخاصة تاريخ اليابان الحديثة كان فيه الكثير مما يمكن أن تعلمه لآسيا وكذلك للغرب ، ولكن مع الغزو الأجنبى حتى ولو كان غزوا اسيويا لاتعنى الثقافة شيئا من الحرية ، بل تعنى التغلغل الاقتصادى وادخال التوقيت اليابانى ، والنقص فى الارز وفرض القيود على النقل والحركة ، والرعب الذى ينشره البوليس السرى •

ولم يكن أولئك الذين اشتاقوا كثيرا لقيام اندونيسيا الديموقراطية الحرة غافلين عن الميول الفاشية والاستعمارية لدى السادة الجدد وهب عدد كبير من الاندونيسيين نذكر منهم على سبيل المثال شساهرين وشريف الدين •• يعلنون معارضتهم لليابانيين ، وكونوا حركات سرية وتعلق كثيرون آخرون مثل سوكارنو وحتى بالأمل فى تقريب الاستقلال بالتعاطف مع اليابانيين وكسب تأييد السلطات المحتلة • وكان هناك اختلاف فى الراى واختلاف كذلك فى الخطط وكان هدف الفريقين واحدا : هو تحقيق حرية أندونيسيا • وأدرك كل فريق أهداف الآخر واغراضه ، وظل الفريقان طول فترة الحرب على اتصال دائم بعضهما مع بعض •:• فقد استمرت الاتصالات مثلا بين حتى وشاهرير عن طريق جوهان شاروزاه والدكتور عبد الحليم • وكانت الأحوال فى أندونيسيا مختلفة تماما عنها فى أوروبا حيث كان التعاون مع الألمان يعتبر خيانة لحرية الأمة • وقد كان للاحتلال اليابانى اذا ما نظر اليه نظرة موضوعية وظائف مختلفة عن وظائف الاحتلال الالمانى لاوروبا •

فقد كان من الواضح فى أوائل صيف سنة ١٩٤٣ أن القوات الالمانية لن تصل الى الفولجا أو الى منطقة القوقاز (ستالينجراد) جوادالكانال ، وبدأت طوكيو تغير من خططها وبينما كانت خطط اليابانيين بشأن استقلال بورما والفلبين (فى أغسطس وأكتوبر

على جزر مارشال (كواحلين أريتوتوك) والاستيلاء على جزيرة هولندية فى فبراير ـ مارس ١٩٤٤ أى عندما كان الألمان يطردون من جنوبي روسيا) أنشئت الى جانب جمعية بوتيرا المستقلة جمعية جاوا هوكوكي (برهيميونان كينا كيثان زاكجات) وكان فيها لسوكارنو فى بداية الأمر نفوذ يقل كثيرا عن نفوذ مندوبى القائد اليابانى الأعلى وان يكن من الناحية العملية هو زعيمها •

ان هناك أيضا جمعية مجلس شورى المسلمين فى أندونيسيا (ماشومى) وهى الجمعية التى حاولت سلطات الاحتلال عن طريقها اكتساب تأمين القطاع المسلم النشط من الشعب .

وبسبب هذه الاحداث وغيرها مما وقع فى سنة ١٩٤٤ لابد ان نذكر شيئا ما عن حركة المقاومة الحقيقية كانت أول حركة مضادة لليابانيين هى الحركة التى نظمتها مجموعة أميرو شريف الدين وغيره ضد الفاشية ، وكانت تشمل عددا كبيرا من الشيوعيين من جمعية بكى الممنوعة قانونا من ممارسة نشاطها ، وكانت سلطات الاحتلال تكره مجموعة شريف الدين وتخافها وكان المجهود الرئيسى للبوليس السرى موجها للقضاء عليها . ومن المحتمل أنه فى الفترة ما بين ١٩٤٤ و ١٩٤٥ على الاقل كانت المجموعة التى تلتف حول سوكارنو وشاهرير أكثر أهمية وخاصة فى دوائر المثقفين فى المدن • وكان هناك فريق اخر هو اتحاد الطلبة (بيرساتوان ماهاسيسى) الذى كان يضم طلبة جامعة جاركاتا ، وخاصة منهم طلبة كلية الطب وكان هذا الفريق على صلة وثيقة بمجموعة شاهرير . وكانت شعارات هذا الفريق صريحة وكان لها شأن كبير فى نشر الشعور المعادى لليابانيين .

وكان الهدف الرئيسى لحركة المقاومة هو التسلل فى صفوف « بيتا » والهيئات التابعة لها والاتصال بضباطها وتوجيههم هم

وغيرهم واعدادهم من أجل القيام بالعمل ضد اليابانيين عندما يحدث هجوم القوات البريطانية والأمريكية .

ولقد جاءت المقاومة في أندونيسيا مثلما حدث في البلدان المحتلة الاخرى من جانب القوى اليسارية بصفة رئيسية ولكن هذه القوى لم تكن هي الوحيدة في الميدان . وعلى أي حال لم يكن لحركة المقاومة في أندونيسا أية صلة بالعالم الخارجي .. وقد أخطأ دكتور فان موك سنة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ وغيره من الهولنديين الذين كانوا في معسكر هولانديا وأولئك الذين كانوا في لندن تماما في تقدير حقيقة الموقف وذلك من جراء افتقارهم للمعلومات وافتقارهم للادراك الكافي الذي يمكنهم من معرفة حقيقة التطورات التي كانت تحدث في أندونيسيا حينذاك فلم يتوقع احد منهم على الاطلاق قيام ثورة عامة شاملة في أندونيسيا كما لو كانوا « أطفالا من جيل آخر » ، وهي الثورة التي كانت مثل القنابل الزمنية اليابانية تنفجر عندما يشعل « المتطرفون » فتيلها .

وقد خدم التنافر الذي كان موجودا في الآراء في طوكيو في ذلك الوقت الحركة الوطنية الأندونيسية بلا قصد . كانت وزارة الخارجية اليابانية تريد أن تنشيء في وقت مبكر اتحادا حرا من الناحية الاسمية على الاقل على أن تبقى المناطق البدائية وحدها مثل بورنيو وغيانا الجديدة تحت حكم اليابانيين ولكن السلطات العسكرية في طوكيو وسنغافوره كانت على وجه العموم تعارض فكرة اعلان استقلال أية دولة من الدول المحتلة الا بعد نهاية الحرب . ودعيت أندونيسيا لحضور مؤتمر شرق آسيا المشهور الذي عقد في طوكيو في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ وهو المؤتمر الذي اشترك فيه مندوبون عن اليابان والصين (الجزء الذي خضع منها لحكم اليابانيين وكانت عاصمته مدينة نانكين) ومانشوكو وبورما ، وسيام « تايلاند » والفلبين كما حضره مندوب عن حكومة بوزي الهندية .

وفى أوائل سنة ١٩٤٤ ، تعرضت طرق المواصلات اليابانية للخطر اذ فقد اليابانيون فى الصيف ٨٠٠ من سفنهم التجارية . وفى شهر يوليو ، أصبح كويزو ، الحاكم العام السابق لكوريا ، رئيسا للوزارة بعد أن فقد اليابانيون قاعدة سايبان البحرية فى جزر الماريانا وعرف كويزو أن الجيش لا يميل الى معارضة اعلان استقلال أندونيسيا .

وفى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ، عندما كانت القوات الامريكية تتأهب لمهاجمة الفلبين (فى شهر اكتوبر) والقوات الألمانية تفر من فرنسا وبلجيكا وجنوبها وعدت حكومة كويزو بأن تعلن فى القريب العاجل استقلال أندونيسيا دون أن تحدد وقتا لذلك ، ولقد استغرق تحقيق الوعد بعض الوقت ولكنه لم يكن وعدا فارغا فما أن حل أكتوبر حتى كانت جمعية الهوكوكى تتمتع بحرية أكبر ولم يعد اليابانيون يرفضون رفع العلم ذى اللونين الاحمر الأبيض وصار يرى فى أكثر الأماكن ، وحلت كلمة « اندونيسيا زين » مكان الاسم الاستعمارى السابق وتولى عدد من الاندونيسيين بعض المناصب العالية فى الادارات الاقليمية فى جاوا . واستطاع سوكارنو ورفاقه أن يتحدثوا صراحة عن الاستقلال .

وكان من أمتع التجديدات قيام « معهد أندونيسيا الحرة » « أسراما أندونيسيا مرديكا » ، الذى ارتبط بطريقة أو بأخرى مع جامعتى جاكارتا وسورابايا . وعقدت محاضرات للطلبة عن القومية والاقتصاد والعلوم السياسية والعلوم الاجتماعية والماركسية وغيرها من العلوم . وكان حتى وشاهرير وكذلك موظفو الاعلام من بين المحاضرين وكانت لهم الحرية التامة فى الحديث رغم أن مايقولونه كان فى كثير من الأحيان متطرفا .

وكانت القوات الامريكية أثناء ذلك تقترب وكذلك أصبح الاستقلال وشيكا .. ولدراسة مبادىء الاستقلال وكيفية الحصول

عليه أنشئت فى أول مارس سنة ١٩٤٥ لجنة كبيرة مؤلفة من ٦٢ عضوا من بينهم سوكارنو وحتى ٠

وفى أول يونيو سنة ١٩٤٥ ألقى سوكارنو أمام هذه اللجنة خطابه المشهور حول المبادىء الخمسة للاستقلال ، وقد كان لكلماته التى اتخذت تعبيرا عن أفكار القيادة وأساسا فلسفيا لجمهورية أندونيسيا الديمقراطية المستقلة تأثيرا ثوريا وأحدثت استياءا شديدا لدى السلطات المحتلة . وهذه المبادىء الخمسة تعتبر توليفة طريفة من الديموقراطية الغربية والاسلام الحديث والماركسية ، وديموقراطية الفلاحين الوطنيين وهى

١ ـ القومية فى أوسع معانيها

٢ ـ الانسانية أو العالمية : النظام العالمى
لايمكن تطويره الا على ارض القومية والقومية لا يمكن تطويرها الا فى اطار عالمى ٠

٣ ـ سيادة الشعب او الديموقراطية السياسية .

٤ ـ العدالة الاجتماعية أوالديمقراطية الاجتماعيةأوالاقتصادية
وقد اقتبس هذا الرأى من أقوال جان جوريس الزعيم الاشتراكى الفرنسى الذى قتل سنة ١٩١٤ ٠

٥ ـ حرية العقيدة الدينية :

وفى شهر فبراير احتلت القوات الامريكية مانيلا وفى أول أبريل نزلت القوات الأمريكية فى أوكيناوا التى تبعد حوالى ٣٤٠ ميل عن الجزر اليابانية . وتولت حكومة جديدة برياسة سوزوكى قيادة السفينة الغارقة ٠ وفى الفترة ما بين شهرى ابريل ويوليو استمرت السلطات اليابانية بهدوء فى اجراءات اعلان استقلال أندونيسيا ٠ بينما كانت القوات البريطانية والصينية قد احتلت بورما ، وكانت القوات الأمريكية والاسترالية قد احتلت بورنيو وغيرها من الجزر الواقعة شرقى أندونيسيا ، وفى ١٤ أغسطس عاد سوكارنو وحتى الى أندونيسيا بعد أن أجريا محادثات مع

السلطات اليابانية فى الهند الصينية حول تحديد موعد اعلان استقلال أندونيسيا • وألقى سوكارنو فى طريق العودة خطابا فى جمهور كبير من الشعب فى مطار كيماجوران قال فيه :

اذا كنت قد أخبرتكم من قبل أن أندونيسيا سوف تنال حريتها قبل أن ينضج القمح فاننى يمكننى الآن أن أخبركم بأن أندونيسيا سوف تنال حريتها قبل أن تطلع سنابل القمح • وكان ذلك اليوم هو التاريخ الحقيقى لاستسلام اليابان ، مع أن الامر الامبراطورى بوقف اطلاق النار لم يصدر الا فى ١٦ أغسطس فانه لم يصل الى اليابانيين فى جاكارتا الا فى ١٨ اغسطس •

وكانت الاختلافات الطفيفة فى وجهات النظر بين سوكارنو وحتى من جهة وشباب ير والحركات الممنوعة قانونا من ناحية أخرى مما أحدث بعض الارتباك ، ولكن اعلان الاستقلال أذيع ليلة ١٦ ـ ١٧ أغسطس الاستقلال فى جاكارتا • وقد وقعه باسم الشعب الأندونيسى « سوكارنو وحتى » وجاء فيه : اننا شعب أندونيسيا نعلن هنا استقلال أندونيسيا وستتم كل الاجراءات الخاصة بنقل الصلاحيات بالطريقة المناسبة وفى أقصر وقت ممكن • ونشر نص الوثيقة فى ذلك اليوم نفسه فى الساعة العاشرة صباحا بتوقيت أندونيسيا وقام الطلاب والموظفون بتوزيع وثيقة الاستقلال فى جميع أنحاء البلاد وقام الصحفيون الاندونيسيون فى الوكالة الأندونيسية بارسالها برقيا الى الخارج • لقد بدات الثورة وماكان فى وسع القوات البريطانية أو الهولندية صدها •

وفى ساعة مبكرة من صبيحة ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩ اعترفت هولندا باستقلال أندونيسيا تلك الدولة التى رست على سواحلها أول أربع سفن هولندية (عند فيتنام فى ٢٢ يونيو سنة ١٥٩٦) منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن •

وفى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ ظهرت ست سفن يابانية من حاملات الجنود على بعد ١٧٠ ميل من جزر هاواى • وفى تمام

الاسطول الامريكى ، مصحوبة بدوى المدافع اليابانية وكان هذا الساعة السادسة بدأت قاذفات القنابل اليابانية ضرب قاعـــدة هو يوم الأحد الدامى فى بيرل هاربور وحال سوء الأحوال الجوية وحده دون وقوع غارة مماثلة على الفلبين • وفى عصر اليـــوم الثامن من ديسمبر حطمت الطائرات اليابانية مطار مانيـلا ، وفى اليوم العاشر حطمت القاعدة البحرية فى كافيت • وكانت سفن النقل اليابانية ياماموتو تتحرك فى ذلك الوقت دون أى عائق شرقا الى جوام وهونج كونج ، والى جزيرة وبك والملايو •

وفى ١٧ ديسمبر نزلت قوات البحرية اليابانية فى شـمال لوزون ، وفى دفعـة واحـــدة كانت قوات جنرال ماساهارو ، بدباباتها الصغيرة قد تغلغلت الى قلب جزر الأرخبيل •

وأصبح ماك ارثر ، القائد العام الامريكى مغلول اليـــدين عاجزا عن التصرف بحرية بعد أن حاصرته مجموعات الســفن اليابانية وبعد أن انعزل بقواته بين فورموزا وهاينان والهنـــد الصينية وبين الجزر اليابانية فى جنوب غربى الباسفيك ، وذلك كان ما يزال أكبر وضوحا فى تلك الأسابيع الحرجـــة حيث أريد الاحتفاظ بما كان أساسا أوضاعا استعمارية •

ولم يكن للجيش الوطنى الصغير دولة حـرة وراءه وكانت استجابة الشعب صورة لما كان سائدا فى ذلك الوقت فى منطقـــة جنوب شرقى آسيا ، فقد بقى على الحيـاد وان كان يضـمر فى أغلب الاحيان التعـاطف مع اليابانيين • ولقد حيـا الـكثيرون الغزاة كمحررين وحتى كويزون الذى كان أسيرا فى المعســكر المحاصر فى باتان لم يكن فى حقيقة أمره مؤيدا للامريكيين • فقد أرسل برقية الى روزفلت عن طريق ماك ارثر ، يخبره فيها بخطته الخاصة باعلان حياد الفلبين وجعلها سويسرا الباسفيك ، حيث لا يصبح لأى من واشنطن أو طوكيو أى كلمة ويمكن القـــول أن الزعماء الأسيويين بصفة عامة أدركوا ــ قبل الحكومات بوقت طويل

ـ ماكان يجرى فى اليابان وفى بقية آسيا ، ولقد كان نهرو محقا في شكاياته سنة ١٩٣٩ ، من (قصور الغرب تماما عن قراءة علامات الزمن وفهم مجريات الأمور) *

ولم تتمكن السفن الامريكية الصغيرة التى كانت موجودة فى مياه الفلبين من الحيلولة دون نزول القوات اليابانية ، وفرت تجاه الجنوب كى تتورط أو تتحطم فى معركة بحر جاوا (فى ٢٦ ، ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٢) . وكان ماك ارثر قد انسحب قبل ذلك فى ٢٧ ديسمبر ، هو وقواته المكونة من ٢٠ ألف جندى امريكى و ٧٠ ألف جندى فليبى الى شبه جزيرة باتان وجزيرة كورجيدور الصخرية الحصينة فى مدخل ميناء مانيلا ، كأنها سدادة الفلين فى الزجاجة .

وفى ٢ يناير سنة ١٩٤٢ احتل هوما مانيلا وكافينت وجميع الجزر فى بضعة أسابيع .

وفى باتان وكورجيدور حيث كان ماك ارثر يقيم هو وجنوده دفاعا عنيفا حسم الموقف الجنود القادمون توا من انتصارهم فى سنغافوره وسقطت باتان فى ٩ ابريل ليلة ٥ ـ ٦ مايو .

وفى أثناء ذلك كانت قد وصلت لماك ارثر وكويزون وأوزمينا أوامر من واشنطن بترك باتان (٧ مارس) . ونزل ماك ارثر فى استراليا ، وانشأ بصفته القائد العام فى الباسفيك مقر قيادته الدائمة ، وتوجه كويزون وأوزمينا الفيليبيان الى واشنطن وأصبحا طول فترة الحرب زعيمى الحكومة الفلبيبية فى الولايات المتحدة .

وبذلك خضعت الفليبين لسيطرة اليابانيين . ولم تكن الفليبين وحدها التى لقيت هذا المصير بل شاركتها فيه الملايو وسنغافورة وبورما واندونيسيا وقد بدات بذلك أيام الاحتلال اليابانى السوداء كما بدات آلام المخاض لتحرير جنوب شرقى آسيا .

وكما يمكن أن نتوقع كان للحكم الياباني فى الفلبين الخواص نفسها التى كانت له فى البلدان الاسيوية المحتلة الاخرى ، من فرض الثقافة والايديولوجية اليابانية والاستغلال الاقتصادى الى ارهاب البوليس السرى الموجه ضد أى فرد يعارض الغزاة .

وفى الوقت نفسه تحررت الجزر على الاقل الى حد ملحوظ من الاستعمار الغربى وهو تطور لم تدركه أوروبا وأمريكا فى الوقت المناسب خاصة وان اليابان لم تلبث طويلا بعد الاحتلال ان أعطت شعب الفلبين قدرا من الحرية فى الادارة المحلية .

وكان هذا هو عهد حكومة فارجاس ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ التى يمكن مقارنتها بحكومة باماو المؤقتة فى بورما ، يضاف الى هذا أعلن اللفتنانت جنرال كورود ، فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٣ نهاية الحكم العسكرى وان الفلبين أصبحت مستقلة . وأصبح جوزيه لوريل أحد الشخصيات القانونية الهامة فى حكومة بارتيدونا سوسياليستا السابقة ، رئيسا للحكومة الجديدة التى تولى فيها مانويل أ. روكساس المعروف عدة مناصب ثم تولى منصب الرياسة فى الفترة ما بين ابريل ١٩٤٦ وأبريل ١٩٤٨ .

وبالرغم من ميولها المعادية للامريكيين والاوروبيين فان حكومة لوريل تحايلت كيلا تمعن فى معاداة الامريكيين فلم تعلن الفلبين الحرب على الولايات المتحدة وبريطانيا الا فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ وأقدمت بورما على هذا القرار فى أغسطس سنة ١٩٤٣ ، وكالعادة دائما كان الاغنياء والرجعيون هم الذين أيدوا الاستعداد التام للتحيز الى جانب الغزاة اليابانيين . وهذا أحد الأسباب لتحول ثلاثة أرباع حركة المقاومة الفلبينية الى اليسار .

وأبدى جيش الشعب المعادى للفاشية (هوكيا لاهاب) نشاطا كبيرا منذ أوائل سنة ١٩٤٢ . وكان هذا الجيش يتكون من الفلاحين والعمال الزراعيين البسطاء ومن عمال مانيلا والمدن الأخرى وكان ضباطهم الكبار وقادتهم من الاشتراكيين والشيوعيين من مانيلا

مثل بدرو أباد سانتوس ولويس تاروك ، ودكتور فنسينت لافا وكاستو اليجا ندرينو • وكان مركز حركتهم قويا بصفة خاصة في لوزون حيث لم يبدأوا فقط نشاطهم المعادى لليابانيين ، بل نشروا الدعوة لثورة الفلاحين • وتم فى مقاطعات عدة تقسيم العقارات الكبيرة التى يملكها الاقطاعيون (الكاكيك) •

وفى بداية سنة ١٩٤٤ تمكن جيش الشعب (الهوكبا لاهاب) من الاتصال اللاسلكى مع القيادة الامريكية فى الباسفيك ، وأرسل الامريكيون الاسلحة والذخائر وأصبح ١٠ الاف رجل من قوات المقاومة على أهبة الاستعداد عندما تحقق الوعد الذى طالما ردده آرثر وقال فيه (انني عائد مرة أخرى) ، فى خريف سنة ١٩٤٤

وفى ٢٠ أكتوبر نزلت قوات الجيش السادس الامريكى على الساحل الغربى جنوب غربى لوزون ، وهو ساحل يمتاز بغاباته الكثيفة وبعد ذلك بعدة أيام نزل ماك آرثر نفسه على الشاطىء وأدرك مارشال تيروشى جيدا ما سوف يحدث اذا عجز عن وقف الغزو الأمريكى ، فلسوف تنشطر الامبراطورية اليابانية الى جزءين ، وتنعزل اليابان عن جنوب شرقى آسيا • فأزاح كورودو عن مسئولية قيادة القوات اليابانية البرية وأحل محله ياماشيتا ، وهو الرجل الذى كان قد استولى على سنغافوره وباتان وكوريجدور ، واستدعى تيروشى فعلا جميع وحدات الاسطول اليابانى الى مياه الفلبين • وما أن جاء يوم ٢٣ أكتوبر حتى كانت مائة سفينة حربية قد تجمعت وقدمت ثلاثة أساطيل حربية من الغرب وشقت طريقها للوصول الى لييت عبر المضايق العديدة التى تفصل مابين الجزر ، بينما قدم أسطول رابع من الشمال • ولم يلمح سفن النقل الامريكية وهى تقترب من سامار فى ٢٥ أكتوبر سوى وحدة تاكيو كوريتا البحرية • وانهزم اليابانيون فى معركة الفلبين البحرية العنيفة التى استمرت ثلاثة أيام (من ٢٣ أكتوبر – ٢٥ أكتوبر) •

وكانت هذه هى سادس معركة بحرية حاسمة جرت أثناء الحرب فى الباسفيك أما المعارك الأخرى فهى : معركة بيرل‌هاربور ومعركة بحر جاوا ومعركة ميداوى ومعركة جوادال كانال (احدى جزر سولومون البريطانية) ومعركة سايبان (احدى جزر الماريانا) كما كانت معركة الفلبين أعظم المعارك البحرية فى التاريخ • وفى ليلة يوم ٢٥ ديسمبر أعلن نيميتز ، القائد العام للاسطول الأمريكى فى الشرق الأقصى ، ان ثلث السفن اليابانية ويشمل أربع ناقلات للجنود وثلاث بوارج حربية (كان من بينهما أكبر بارجتين فى العالم) وعشر طرادات وعددا كبيرا من سفن‌النقل الصغيرة قد أغرق ولم يكن لياماشيتا أن يتوقع وصول مساعدات بحرية أكثر مما وصل اليه •

وكان الموقف فى الجو سيئا للغاية كذلك ، بالرغم من أن الطيارين اليابانيين بدأوا العمليات الانتحارية (الكاميكادزى) الرهيبة ، وهى الانقضاض بطائراتهم على السفن الامريكية وتحطيمها فوق سطح هذه السفن • ويقول اليابانيون أن أول من قام بهذه العملية الانتحارية الرهيبة من الطيارين ، كان القيس ادميرال ماسا بومى أريما (فى ١٥ أكتوبر ١٩٤٤)

واحتلت القوات الامريكية التى جاءت على ٨٠٠ سفينة سامارو مندورو فى شهر ديسمبر • ونزلت القوات الامريكية يوم ٨ يناير سنة ١٩٤٥ ، على الساحل الغربى لجزيرة لوزون فى خليج لنجاين بصفة خاصة . وتسبب الهاكس وغيرهم من رجال العصابات فى اعاقة العمليات اليابانية وذلك بسد الطرق وتحطيم الجسور . واستولت القوات الأمريكية على ميندانا‌وفى‌بحر سيليبز ، فى شهر مايو • وفى اليوم الاول من شهر مايو غزت القوات الاسترالية جزيرة تاراكان المشهورة بآبار البترول ، وفى اليوم الأول من يوليو غزت القوات الاسترالية جزيرة بالكبابان وأظهر ذلك العجز التام الذى أصيب به اليابانيون فى البحر ولقد حدث هذا بينما كانت المدن اليابانية تحترق ، وكانت القوات

اليابانية تنسحب من بورما والصين بينما كانت القوات الروسية تحتل الجزء المتبقى من برلين •

وفى ٥ يوليو أعلن ماك ارثر أن العمليات الحربية فى الفلبين قد انتهت وانشطرت الامبراطورية اليابانية الى جزأين : فانعزلت أندونيسيا ومنطقة جنوب شرقى آسيا وأصبحت الجزر اليابانية نفسها عارية من وسائل الدفاع • ولقد تكلف هذا الدفاع الذى ألقاه ياماشيتا على قواته فى جزيرة ليوزون حياة ٤٠٠ ألف جندى وبحار و ٩٠٠٠ طائرة كذلك •

وفى ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٥ ، رحب ماك ارثر بقدوم سيرجيو أوسمينا من منفاه فى أمريكا وتولى أوسمينا رياسة الحكومة المدنية وكان بعد وفاة كويزون فى اليوم الاول من أغسطس سنة ١٩٤٤ قد تولى رئاسة الحكومة الفليبينية فى المنفى فى واشنطن •

وحافظ الامريكيون على وعدهم الذى أعطوه سنة ١٩٤٣ باعلان استقلال الفلبين • ففى ٤ يوليو سنة ١٩٤٦ نالت الفلبين حريتها بالرغم من وجود بعض القيود فى مجالات الاقتصاد والعسكرية ، كما كان الحال فى الهند سنة ١٩٤٧ ، وفى أندونيسيا سنة ١٩٤٩.

أما ان ذلك النوع من التحرر من الاستعمار لا يحول البلاد فى يوم وليلة الى جنة ، فقد تبين من استمرار الفلاحين البسطاء فى المقاومة .

ولم يتمكن الامريكيون ولا قادة الحكومات الوطنية من القضاء على الهاكس • وكان نشاط العصابات الشيوعية تعبيرا عن ثورة الفلاحين فى آسيا حينذاك . ولقد تحدد هذا النشاط بالاجراءات العسكرية ولكن هذه الاجراءات تعجز عن القضاء عليه تماما ولن يتأتى لغير ادارة ديموقراطية حديثة والاسمدة الصناعية والكهرباء وللالات الزراعية فى هذا العصر ذى الامكانيات العظيمة أن تحول سكان القرى الذين يعيشون فى ظروف العصور الوسطى الى امة حديثة .

وفى الفترة ما بين بدء الاحتلال اليابانى لمنشوريا فى صيف سنة ١٩٣١ وخطف شيانج كاى شيك ، ذلك الحدث التاريخى الذى وقع فى نهـــاية عام ١٩٣٦ فى استنفد الكومنتانج قـواته القليلة المسلحة بأسلحة حديثة فى عمليات قتال غير جدية ضد المقاومة الشيوعية ، وضد ثورة الفلاحين • وأثناء ذلك الوقت كانت قوات الامبراطورية اليابانية القادمة من كوانتونج قد احتلت على وجه التقريب جميع المناطق الشمالية الشرقية فى الصـــين التى يمكن تسميتها بمنطقة الرور الصينية ، أصبحت الصين كأنها أسـبانيا الأسيوية حيث كانت اليابان تجرب أسلحتها الحربية مثلما فعلت المانيا فى مدريد وجويرينكا ، وترونيل وبرشلونة •

وفى سنة ١٩٣٧ ، قبيل حادثة بكين لم تستطع الصين الحرة وقد أوشكت الحرب الأهلية على الانتهاء أن تقدم أية مقاومة جدية ضد الغزاة اليابانيين ، وشهدت تلك السنة سقوط بكين وتيانتسين ونانكين وشنغهاى ، وفرت الحكومة الى مدينة شونج كنج الواقعة فى قلب الصين ، على بعد أكثر من ٩٠٠ ميل وسط الجبال • وهذه المدينة هى العاصمة الاقتصادية لمقاطعتى زشوان ومنطقة الحوض الأحمر حيث لا يوجد سوى قليل جدا من الطرق الحديثة ولا توجد خطوط للسكك الحديدية • وفى هذه المنطقة ، قضى شيانج كاى شيك ورفاقه أيام عصيبة •

وفى بداية سنة ١٩٣٩ كانت القوات اليابانية قد احتلت جميع المناطق الرئيسية شمال شرقى الصين شرقى النهر الأصفر ، وكذلك كل وادى نهر اليانجتسى والساحل الجنوبى للصين تقريبـا ، اى كل المناطق التى توجد فيها جميع خطوط السكك الحديدية وتسعة إعشار المصانع وجميع الموانى وما يقرب نصف عدد السكان •

وفى نفس الوقت انكشف الستار عن خرافة حصانة شونج كنج بعد الغارة الجوية العنيفة التى شنتها الطائرات اليابانية عليها يوم

٧

الصين

لقد ذكرنا أكثر من مرة كيف انه بينما كانت الحرب العالمية الثانية تزيد من صحوة الدول الأسيوية ، كانت التيارات الحتمية للثورة الاجتماعية في هذه الدول تكسب أرضا باستمرار .. وهذه الحقيقة تصدق بصفة خاصة على الصين . ففي (حادث موكدن) سنة ١٩٣١ ، ثم في سنة ١٩٣٧ (حادث بكين) كانت الحكومة اليابانية تسعى جاهدة بالفعل للحيلولة دون نشوء جمهورية صينية متحدة ، ودون تطور الثورة المزدوجة وذلك لأن اليابان كانت تطمع في أن تحل مكان الصين بوصفها الدولة السائدة في شرق آسيا . ولقد نذكر كمثل صغير على ما يعرف بأنه سرية التاريخ أن طوكيو بعدوانها على الصين لم تحقق أو تساعد على تحقيق شيء سوى ما كانت لاتريده على الاطلاق ـ ايجاد اتحاد جزئي بين الكومنتانج والشيوعيين ، وزيادة الوعي في مناطق الصين الأخرى التي ظلت غير خاضعة لسيطرة اليابانيين وانتشار الثورة الشيوعية حالما اتضح أن الشيوعيين كانوا هم المدافعين الحقيقيين والديموقراطيين عن استقلال الصين .

وليس ثمة الا كلمة واحدة هي كلمة « محزن » لوصف ذلك المشهد الذي قدمته الصين في بداية عام ١٩٤٢ ، عندما هاجم اليابانيون منطقة جنوب شرقي آسيا ، وعندما وقعت الصين ميثاق الأمم المتحدة وأصبح شيانج كاي شيك القائد العام المسئول عن ميدان الحرب في الصين والهند الصينية وسيام (تايلاند) وبورما .

اهمية الى الصين فى الفترة ما بين سنة ١٩٣٧ ، وسنة ١٩٤٦ ، وقد صرحت بذلك آسفة سونج مى لنج زوجة شيانج كاى شك فى مقال مرير نشرته فى ديسمبر سـنة ١٩٤٠ ، وكان الأسف لأن الكومنتانج لم يكن يميل كثيرا للاتحاد السوفييتى وكان فى رايهم أن وجود الجنود والفنيين الروس واحتلال الروس لمنغوليـا الخارجيـة يمثلان مصدرا للامن والنجدة أقل مما يمثـلان مصدرا للخطر على الصين ولم تكن شونج كنج فى حقيقة الأمـر بالسحب المتجمعة فى سمائها مقرا آمنا للحكومة الصينية . ففى صيف سنة ١٩٤٠ عندما كانت القوات الألمانية تحتل أوروبا الغربية منعت بريطانيا تصدير أى شىء الى اليابان عبر هونج كونج ، وفيما بين يوليو واكتوبر أوقفت بريطانيا النقل عبر طريق بورما ، وهو الطريق الذى يصل بورما بشونج كنج عن طريق كونمنج .

وكان الصينيون قد أنشأوا فى سنة ١٩٣٨ و ١٩٣٩ هذا الطريق الذى يبلغ طوله حوالى ١٥ ألف ميل دون أن يستخدموا الأدوات والآلات اللائقة تقريبا وتوقعوا أن يصبح السبيل الوحيد المأمون الذى يربطهم بالبحر وبالعالم الخارجى دون عناء كبير .. وحتى ذلك الوقت كان الطريق الوحيد الذى لا يمر عبر أراضى الاتحاد السوفييتى هو الخط الحديدى الممتد من كونمنج الى هايفونج فى الهند الصينية الفرنسية ، وكان هذا الطريق غير آمن ، وفى شهر يونيو سنة ١٩٤٠ ، عندما استسلمت السلطات الفرنسية شـبه الفاشستية واغلقت الحدود الصينية بناء على مطالب اليابانيـين وتهديداتهم .. أما الخط الشمالى الغربى الممتد من شونج كنج عن طريق كانسو (فى لانشو) وعبر صحراء سنكيانج (فى تيهوا) الى اكزاخستان الروسية ، فقد كان طريقا سيئا يمتد ثلاثة آلاف ميل ويؤدى الى الاتحاد السوفييتى فقط ، وهذا هو السبب فى أن عمليات النقل الروسية كانت تسير فى طريق بورما فى الفترة ما بين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٤١ . ولم يكن هذا الطريق صالحا لعمليات النقل

٣ مايو سنة ١٩٣٩ ، ولم تكن هذه هى الغارة الوحيدة ، فقد حدثت مئات من هذه الغارات وفر وانج شنج و ى، أحد زعماء الكومينتانج عن طريق هانوى الى المنطقة المحتلة حيث ولاه اليابانيون فى صباح الأحد المطير ٣٠ مارس ١٩٤٠) ورئيسا لحكومة مؤيدة لليابانيين فى نانكين ، ومضادة لحكومة شيانج كاى شيك فى شونج كنج وحطم رجال العصابات القطار الذى كان يحمل الصحفيين الأجانب الذين قدموا لحضور الاحتفال بتولي الحكومة الجديدة ، خارج المدينة • ولم تكن لحكومة نانكين أهمية كبيرة ولم تكن على وجه الاجمال حكومة حقيقية من حكومات الخيانة مثل حكومة كويسلنج• ولكن هذه الأمور سممت الجو فيما بعد • ففى ذلك الوقت كان الأمن الجماعى فى الغرب قد تحطم وسقطت أثيوبيا واسبانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا • وفى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨ ، وقعت فى ميونيخ الاتفاقية التى خانت لندن وباريس بموجبها تشيكوسلوفاكيا، وهى الدولة الديموقراطية الوحيدة بالمعنى الغربى للكلمة التى كانت موجودة فى أوروبا الشرقية وتعذر حينذاك صد اليابان • وفى خلال ثلاثة أسابيع احتلت مدينة كانتون ، وعزلت هونج كونج البريطانية وهكذا فتح تشامبرلن وأصدقاؤه الطريق أمام اليابانيين لمهاجمة هونج كونج وسنغافورة لأنهم كانوا عاجزين تماما عن ادراك علامات الزمن •

وداوم الغرب على تزويد اليابانيين الغزاة بالفحم والبترول والحديد • وأخمدت الحكومة الاسترالية اضرابات عمال الشحن الذين قلدوا زملاءهم فى لندن وسونهامبتون ومارسيليا ، ورفضوا شحن السفن المبحرة الى اليابان • ويؤخذ من تقديرات نشرتها صحيفة التايمز اللندنية أن تسعة أعشار المعدات الحربية اليابانية فى سنة ١٩٤٠ جاءتها من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا ومستعمراتها جميعا •

وكان الاتحاد السوفييتى هو الوحيد الذى أرسل مساعدة ذات

الا من الناحية الفنية السياسية خاصة ان بريطانيا والولايات المتحدة لم يكن لديهما اى موانىء بحرية فى كازاكستان . وكان لابد من نقل البضائع من الموانى الغربية الى كراتشى ، ثم من كراتشى بالقطارات الى زاحيدان عن طريق كوتيا ، ثم نقلها من زاحيدان بسيارات اللورى الى أزاكستان (فى تركستان) عبر أراضى ايران المضطربة ، ثم نقلها بعد ذلك بالقطارات على خط السكك الحديدية بين تركيا وسيبيريا (طوله ٩٣٠ ميل) الى الما اتا فى كازاخستان . يضاف الى ذلك أن روسيا منعت من أبريل سنة ١٩٤١ كل عمليات النقل الحربى الى الصين الحرة تطبيقا منها لاتفاقية الحياد الروسية اليابانية . وحتى اذا كانت روسيا قد أغمضت عينيها عن مثل هذه العمليات فان ذلك الطريق لم يكن له اهمية .

وحتى مع هذا ظلت الصين ترفع رايتها فى سماء شونج كونج ومنطقة الشيوعيين فى كانسو شينزى المعزولة ، وعدد كبير من العصابات الصغيرة كل فى منطقته ، واستمرت الصين على هذا الصمود حتى بعدما نشرت اتفاقية الحياد بين روسيا واليابان .

ولم يتغير الموقف بعد أن هاجم الألمان روسيا عندما بدأت مصادر المساعدة الروسية تنضب ، ولا بعد الهجوم الذى شنته القوات اليابانية يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ وتناثرت فيه أشلاء البيض وجرفها التيار خارج جنوبى شرقى آسيا كالعصف تذروه الرياح وعندما قفل طريق بورما وأحاقت الاخطار بجميع مناطق جنوبى شرقى وجنوب غربى الصين بل عندما أصبحت الهند نفسها فى خطر ورغم أن تشرشل وروزفلت كانا قد اتفقا فى أوائل شهر فبراير سنة ١٩٤٢ على معالجة أمر المانيا أولا ثم التحول بعد ذلك لليابان . وكان هذا الاتفاق بمثابة ضربة عنيفة للصين الحرة — فان عددا كبيرا فى أوربا الغربية وفى الولايات المتحدة بصفة خاصة بدأوا يدركون أهمية الصين فى الحرب . وجعل الخطر الذى يهدد مصر واستراليا تقديم المساعدة المباشرة أمرا مستحيلا ولكن تشرشل اقدم على

عمل طيب على الأقل عندما أهدى حكومة شيانج فى شهر فبراير سنة ١٩٤٢ بعضا من سفن المدفعية ، كانت هذه السفن بالنسبة للصين رمزا عندما كان شيانج وزوجته الجميلة يدعوان أثناء زيارتهما لدلهى الى استقلال الهند وباكستان ، وأعلن شيانج أن أغلى رغبات الصين هى أن ترى جميع الدول الاسيوية تحصل على حريتها السياسية وكانت الزيارة التى قام بها شيانج وزوجته فى المقاطعات الشمالية الغربية من الصين فى صيف سنة ١٩٤٢ ، بمثابة دليل جديد على استرداد حكومة شونج كنج لنفوذها وذلك لأن الحرب العالمية قد حررتها من عزلتها وجعلت دماء جديدة تسرى فى عروقها

وفى أبريل سنة ١٩٤٢ ، وصلت القافلة الجوية الأولى من شمال شرقى الهند الى الصين الحرة ، وكانت تتألف من عشر طائرات نقل أمريكية قدمت من مصر حاملة كميات من البترول . وكان ينقص شونج كونج كل شيء عدا الجنود . فلم تكن الصين فى حقيقة الأمر تصنع الأسلحة ، ولم يكن لديها البترول ولا تملك سوى عدد ضئيل جدا من سيارات اللورى ، وفى سنة ١٩٤٤ ، كان انتاج الصين من الصلب أقل ¼ ٪ من انتاج أمريكا .

وكان جنرال ج. و. ستيلويل مندوب امريكا العسكرى فى الصين ورئيس أركان حرب شيانج كاى شيك فى الوقت نفسه (من ١٩٤٢ — ١٩٤٤) يلح فى طلب البترول والمدافع الرشاشة والقنابل والأدوية والآلات الميكانيكية وما أشبه وظل الأمريكيون يواظبون على الخدمة الجوية أسبوعا بعد اسبوع ، من شواطىء نهر براهما بوترا الرملية على ارتفاع ٢٠ الف قدم فوق الجبال المغطاة بالثلوج الى كونمنج وشونكنج ثم فتح طريق آخر سنة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ، مابين كلكتا وشنجتو . وهكذا وصل الى الصين ١٢٠٠ طن من المعدات الحربية فى يناير سنة ١٩٤٣ ، وفى ديسمبر وصل ١٢ الف طن وفى أغسطس سنة ١٩٤٤ وصل ٢٤ الف طن وفى يناير سنة ١٩٤٥ وصل ٤٤ الف طن وفى يوليو وصل حوالى ٧٠

الف طن ، أى بمتوسط ۲۰۰۰ طن يوميا ، وهو القدر الذى يستطيع ٤٠٠ لورى حربى نقله .

وألف شيانج خلال الحرب كتابا سماه « مصير الصين » وصف فيه حرب الأفيون من سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢ ، وما أعقبه من التدخل الغربى النهم الطامع على أساس الثمانين اتفاقية المتعلقة بقهرالصين والتدهور العام الذى أصاب البلاد . وبينما كان شيانج يؤلف كتابه أعلنت واشنطن ولندن (فى أكتوبر سنة ١٩٤٢) استعدادهمـــا للتخلى عن جميع الامتيازات التى يتمتعان بها فى الصين ، وهو اعلان ذو أهمية تاريخية حتى ولو لم يكن له فى ذلك الوقت أى دلالة عملية حيث كانت المناطق الغنية فى أيدى اليابانيين ومنها هونج كونج التى لم يكن لدى تشرشل أية نية لردها الى الصين ، ووقعت المعاهدات المناسبة فى ١١ يناير سنة ١٩٤٣ ، وكان هذا يعنى أنه حالما تحرر الصين لن يصبح للأمريكيين والبريطانيين أى ممتلكات فى الأراضى الصينية ، ولن يسيطر على موانيها جنود أجانب ولن تبقى أية سفن حربية أمريكية أو بريطانية فى المياه الصينية ، وان تقوم الصين بنفسها وليست بريطانيا بوضـع قوانينها ونظمهـا الجمركية وفوق هذا كله لن تكون هناك لافتات مكتوب عليها ممنوع دخول الصين .

ولكن اليابانيين لم يكونوا متخلفين عن الغرب ، ففى أوائل شهر مارس سنة ١٩٤٢ ، سلم أوكامورا القائد العام للجيش اليابانى لحكومة نانكين ما كان يعتبر فى وقت من الأوقات الحى البريطانى فى تيانسن .

وفى ١٠ يناير سنة ١٩٤٣ ، أعلنت طوكيو بطلان كل الحقوق الاقليمية الخاصة بما فى ذلك التسويات الدولية التى عقدت فى بكين وشنغهاى وتبعت ايطاليا هذا التصرف فى يناير واعقبها فى ذلك ممثل حكومة فيشى فى بكين فى شهر مايو أما المانيا فلم يـكن لها جاليات فى الصين ، ولم يحدث اعلان وانج شونج وى الحرب

على بريطانيا والولايات المتحدة فى ذلك اليوم نفسه أى رد فعل ، وألغت الولايات المتحدة قرار الحظر العام الذى كان مفروضا على الصينيين الى أمريكا فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٣ ، غير أن القانون أبقى عدد المهاجرين منخفضا جدا بحيث لا يزيد عدد المسموح لهم بالهجرة عن ١٠٥ مهاجر سنويا .

ومع ذلك كانت الصين فى سنة ١٩٤٣ داخليا وعسكريا أقرب من الكارثة مما كانت فى أى وقت فيما بين سنتى ١٩٣٧ و ١٩٤٥ ، هذا بالرغم من التقارير المتفائلة التى كانت تذيعها وكالة أنبـاء الكومنتانج ، وبالرغم من السحر الذى أظهرته « سيدة الصـين الأولى » فى أثناء زيارتها لأمريكا (فى بداية سنة ١٩٤٣) وبالرغم من أن الوضـع فى الصين ظل ثابتا بقـدر ما كان العـالم الخارجى يستطيع أن يرى وكانت حكومات الدول مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا ما تزال فى صميم قلبها تخشى من قيام دولة متحدة وقوية فى الصين . ولم يكن تشرشل ، على سبيل المثال يخفى نفوره من تقديم اى مساعدة كبيرة لما كان يسميه بنظام شونج كنج العفن ، ولكن عددا كبيرا من الأمريكيين ومن بينهم روزفلت بصفة خاصة كانت تراودهم آمال كبيرة بالنسبة للصين . ألم يكن أغلب الجنرالات الأمريكيين يعتقدون بأن تضييق رقعة الامبراطورية اليابانية لا يمكن أن يتم الا عن طريق دول جنوب شرقى آسيا والصين ؟ ثم ألم تكن الصين الحرة هى المكان الوحيد الذى تستطيع منه أسراب الطائرات الأمريكية أن تغير بقنابلها على اليابان نفسها ؟ ولقد بنى الأمريكيون المطارات فى كل مكان فى جنوب الصين الحرة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) .

ظل الوضع على ذلك حتى نهاية سنة ١٩٤٤ ، حتى طورت الولايات المتحدة خططها الاستراتيجية فى منطقة الباسفيك (الفليبين وايو واوكيناوا) وكان من نتيجتها أن فقدت الصين ومنطقة جنوب شرقى آسيا أهميتها . وحتى احتلال جزر ماريانا لم تكن الولايات

المتحدة تملك أية قاعدة جوية تقوم منها طائراتها لتضرب طوكيو بالقنابل •

ولقد رسمت فى شهر مايو سنة ١٩٤٣ خطة انجليزيه آمريكية صينية لخوض معركة جنوب شرقى آسيا (وبصفة خاصة فى شمال بورما لتأمين الطريق البحرى الذى يربط الصين بالهند) ثم طورت هذه الخطة فى المحادثات التى جرت فى كويبيك (من ١١ الى ٢٤ اغسطس) وحضرها تشرشل وروزفلت وت .ف . سونج وزير خارجية الصين • ثم اعترفت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتى فى محادثات موسكو (من ١٩ ـ ٣١ اكتوبر) بالصين كاحدى الدول الأربع الكبرى ، وظهر شيانج كاى شيك بنفسه فى محادثات القاهرة الهامة (من ٢٢ نوفمبر الى ٢٦ منه) كأحد الملوك الثلاثة « ولقد بحث هو وروزفلت وتشرشل » بالاضافة الى خطة الحملة فى الشرق الأقصى مسالة الحدود الخاصة بالصين عند تحرير كل أراضيها وتقرر أن تستعيد الصين كل أراضيها التى فقدتها منذ سنة ١٨٩٤ ومنها فورموزا ومنشوريا • واتفق على أن تصبح كوريا « عند تاريخ معين » دولة حرة ومستقلة وكان تعبير عند تاريخ معين دليلا على الشكوك التى ساورت روزفلت فيما يتعلق بصلاحية كوريا للحكم الذاتى ، ولقد ظهر خط عرض ٣٨ المشهور اول ما ظهر فى محادثات يالتا ثم نوقش مرة أخرى بعد ذلك فى محادثات بوتسدام • ولأن الاتحاد السوفييتى لم يكن من الدول المحاربة فى جنوب شرقى آسيا فقد ظل لفترة من الوقت بعيداً عن الاشتراك فى هذه القرارات ولكن ستالين أقر فى محادثات يالتا (فبراير سنة ١٩٤٥) الخطط التى وضعت فى القاهرة بشأن الصين وكوريا •

ولم يكن الجيش اليابانى فى الصين قد تقدم فيما بين ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ الى أبعد من الخط الذى وصل اليه من ١٩٣١ الى ١٩٤١ أى انه لم يتقدم بوجه عام أبعد من خط طول ١١٠ درجة •

ولقد اكتفى اليابانيون بالسيطرة على المناطق الساحلية والموانئ الواقعة جنوب وادى اليانجتسى حيث لم يتوغلوا تجاه الغرب أبعد من اشنانج ، وهكذا ظل الخط الحديدى الواصل بين كانتون وشنغهاى وهو الخط الحديدى الوحيد الذى يربط ما بين جنوب ووسط الصين خاضعا ولو جزئيا على الأقل لسيطرة الصينيين .

وكانت جميع مناطق شمال الصين الحرة تحت سيطرة جيوش ماوتسى تونج وشوتيه الحمراء التى اتخذت قاعدتها المناطق الديمقراطية المتحررة فى كانسو الشرقية وسنسى الشمالية وأقامت حكومتها فى ينان (فوشيه) وكان النهر الأصفر هنا هو الحد الفاصل بين الصين المحتلة والصين الحرة . وكانت كل محاولة يابانية لعبور أراضى سوى ـ جوان الرملية الواقعة شمال النهر ، والوصول الى الطريق الواصل ما بين شونج كنج وكازاخستان تبوء بالفشل حين تواجه مقاومة الجيوش الحمراء والفرسان المنغوليين . يضاف الى هذا ان كان للشيوعيين فى شمال غربى الصين عدد قليل من فرق العصابات فى الميدان ، وخاصة فى منطقة هوبى ـ شانسى ـ شاهار ، حيث كان فى امكان فرق المقاومة الموجودة فى تلال ووتاى (مؤلفة من عمال المناجم وعمال السكك الحديدية) التوغل فى قلب بكين وشانتونج والى شمال كيانجسو والى منطقة شانسى وهونان وهوبى الواقعة على الحدود وهنا كانت قاعدتهم هى تلال تاى هانج وكان رجال المقاومة يحاربون فى البحر ـ ولم تكن هذه الحالة توجد الا فى الصين وحدها ـ ويهاجمون المنارات وسفن الارشاد والسفن الساحلية الصغيرة ولم يستطع اليابانيون أن يفعلوا الشىء الكثير فيما يجاوز الطرق الكبرى وخطوط السكك الحديدية ، ففى سنة ١٩٤٢ على سبيل المثال أقام الجيش اليابانى (أى الفلاحون الصينيون المسخرون) جسورا علوها سبعة اقدام على طول الخط الحديدى ما بين مولدن ـ بكين ـ نانكين لحمايته ، وازيلت الأشجار والأدغال القريبة من هذا الخط كما رصفت تقاطعات الطرق فى الليل .

ولقد يقول القارىء أن هذا كله ليس سوى تاريخ حربى رومانتيكى ، ولكن له ان يتأمل كيف أن خطط الدولة المحتلة التى اتخذت شعاراتها القتل والسلب والحرق أثارت الكراهية ـ فقتل ٦٠٠ ألف صينى فى شكيانج سنة ١٩٤٢ أثناء احدى العمليات العديدة ضد العصابات ـ وكيف أن « الديموقراطيات الحديثة) فى كانسو ـ شتسى وغيرها من المناطق التى أقيمت داخل خطوط اليابانيين قد حررت الفلاحين والعمال من أغلال عبوديتهم السابقة. وعليه أن يتذكر كذلك التاريخ الذى كان وراء الشيوعين . وقليل جدا من الناس فى الصين أو اى مكان آخر الذين كان لهم مثل هذه الخبرة الفنية فى حرب العصابات مثل ماوتسى تونج . لقد كتب فى سنة ١٩٣٦ وهو وقت مبكر جدا كتابه «استراتيجية الحرب الثورية فى الصين » (وهو الكتاب الذى نشر سنة ١٩٤١ ، وترجم الى لغات غربية عديدة) وان ما أمكن تحقيقه على أيدى فصيلة صغيرة نسبيا من رجال العصابات ضد جيش بالأسلحة الحديثة فى دولة آسيوية مضطربة حينذاك رؤى مرة أخرى فى الهند الصينية حيث أمكن فى فيما بعد أصبح الفرنسيون يستطيعون استخدام الخط الحديدى الواصل بين هانون وهايفونج الا لعدة ساعات كل يوم .

ولقد كان تعداد الجيش الأحمر الصينى فى سنة ١٩٣٧ حوالى ١٠٠ ألف جندى وأصبح سنة ١٩٤٣ حوالى ٦٠٠ ألف جندى . وقد استطاعت هذه القوات ، بحرب العصابات ان تشغل أثناء فترة الاحتلال حوالى ٤٥ ٪ من القوات اليابانية فى الصين عن طريق حرب العصابات أى عشرين فرقة ، وهذه الأرقام مصدرها شونج كنج وواشنطن وينان . وفى هذه الفترة لم تكن العلاقات بين شونج كنج وينان الا علاقات طيبة . ولقد احتفظت الحكومة الصينية وراء الخطوط بثلث قواتها المسلحة بأسلحة حديثة وذلك لمحاصرة المنطقة الحمراء ، ولم يكن من الممكن تفادى حوادث الحدود الخطيرة وانه ليوجد خلال التاريخ كله وأثناء أى حرب من حروب العصابات

مشاحنات مظلمة من جراء الخطأ والفشل الانسانى وهذه الحالة وجدت أثناء « الحرب الأهليه الباردة » (من ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥) فى شونج كنج . فقد كان فى المناطق الحرة الخاضعة لسيطرة الكومنتانج صينيون كثيرون لايتصفون بالنضج وليس لديهم القدرة الكافية التى تمكنهم من فهم لغة ماوتسى تونج واقامة الديموقراطية فى منطقتهم . غير أنه فى وقت مبكر مثل شتاء سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ طالبت جماهير الطلبة والمثقفين والصحفيين وعدد كبير من التجار الرأسماليين كذلك « وقف الحرب ضد الشيوعيين .. واطلاق سراح الفلاحين ، وطرد اليابانيين من البلاد » .

وبعد خطف شيانج المؤقت توقفت الحرب الأهلية فترة من الزمن وبدا أن حكومة ماوتسى تونج مستعدة لوقف ثورة الفلاحين مؤقتا وخلال الفترة الأخيرة من الحرب لم تكن القاعدة هى أن يحرم الفلاحون الأثرياء وملاك الأراضى من أراضيهم ، واعترف مرة أخرى بشيانج كاى شيك كقائد أعلى . وعدل الكيومنتانج أيضا من سلوكه وأصبح ديموقراطيا بعض الشىء ووسعت حرية القول الصحافة وفى ينساير سنة ١٩٣٨ ، ظهرت على سبيل المثال اول صحيفة شيوعية بلا أية قيود فى الصين « البيضاء » . ولكن الأحوال خارج المدن الكبيرة لم تتغير الا قليلا جدا ، وحالت العناصر اليمينية والرجعية فى داخل الكيومنتانج دون حدوث اى تصالح أو تقارب بين شونج كنج وينيان . ولم يكن لمجموعات البورجوازيين الراديكاليين المعتدلين جدا مثل اتحاد الأحزاب الديموقراطية الا تأثير ضئيل جدا .

ولقد دعم انتقال الحكومة الى داخل البلاد الاتجاهات المعادية للديموقراطية ولم تكن زشوان وكويكوف وينان اكثر اقاليم الصين تقدما .

ويعتبر ماوتسى تونج ورفاقه بهذا المعنى صينيون خلص مثلما كان زعماء الفلاحين فى الماضى ـ

ولقد رفضت حكومة شونج كنج طول الحرب بسبب مخاوفها من الشيوعيين السماح بارسال جزء من المعونة الأمريكية الى ماوتسى تونج وشوتيه سواء كانت هذه المساعدات لوريات أو بنادق أومهمات طبية أما الآراء المتنوعة التى عبرت عنها الكتب التى الفت عن الصين الجديدة بشأن المساعدت الروسية للجيش الأحمر فلا تتعلق بهذه الفترة .

ولكن الشيوعيين والديموقراطيين لم يكونوا هم وحدهم الذين أدركوا مدى الخطورة التى تكمن وراء حدوث انشقاق فى « الصين البيضاء » .

ولم تكن اثارة الحرب الأهلية من جديد ـ وهو ماكان عددكبير من المسئولين فى شونج كنج يريدونه حقا ـ أمرا يهم الصينيين وحدهم اذ كان يمكن أن يغير من مجرى الحرب فى آسيا وافريقيا.

كانت الحرب بين شونج كنج وينان تجعل من الممكن حدوث شقاق بين شونج كنج وموسكو ، وهذا يعنى بدوره تجميد العلاقات بين موسكو وواشنطن .

ولقد أدركت نتائج مثل هذا الشقاق فى بريطانيا وأمريكا فى سنة ١٩٤٣ وبدأت الحكومة والصحف في أمريكا بصفة خاصة تتساءل « ماذا تريد شونج كنج ، وماذا تريد ينان فى حقيقةالأمر؟ وما أهمية ينان بالنسبة للاتحاد السوفييتى ؟ وما اهمية الصين فى الحرب ضد اليابان ؟ وفضلا عن ذلك ، هل تتطلب الحرب اجراء اصلاحات ديموقراطية فى الصين « البيضاء » ؟ وهل قدمت الولايات المتحدة مساعداتها من لوريات وبنادق ومهمات طبية للدفاع عن شونج كنج ضد الشيوعيين فى الصين بعد تحررها من اليابان ؟ أو بعبارة أخرى « ما فحوى الثورة الصينية ؟ ولم يكن الأمريكيون الكثيرون الذين كانوا يعيشون فى الصين حينذاك وخاصة منهم ستيلويل رئيس أركان حرب شيانج كاى شيك القائد المسئول عن استمرار الجسر الجوى وكانوا يخفون انزعاجهم الشديدمن سياسة

حكومة شونج كنج الرجعية المتعسفة ومن استنفاد القوةالعسكرية ومن اضاعة المهمات العسكرية الأمريكية هباء في محاصرة المناطق التي يسيطر عليها الشيوعيون . وانتقد الجنرال الأمريكي نظام الحكم بصراحة وبعنف كذلك وحاول (سنة ١٩٤٣ – ١٩٤٤) أن يقرب ما بين الطرفين مرة أخرى بمساعدة واشنطن .

ولم يكن في امكان أية حكومة اعادة توحيد الشعب والبلاد في مثل تلك الظروف الا حكومة جديدة وأفضل يرأسها زعيم من صفوف الفلاحين نابع من الثورة يقوم باجراء تقسيم جديد للأرض والتوسع في الاراضي الصالحة للزراعة . ألم يوزع أول امبراطور من أسـرة « تانج » حوالي سنة ٦٠٠ ميلادية) الأرض في السنوات الأولى من عهده ؟ ألم يكن أول امبراطور من أسرة منـج (حوالي سنة ١٣٥٠ ميلادية) زعيما لثورة الفلاحين ؟

وهل كان يقدر لحكام أسرة مانشو أن يتولوا السلطة في سنة ١٦٤٤ لو لم يقم قائد احدى الفرق باستدعاء هؤلاء البرابرة من الشمال ليخمدوا حركة زعيم من زعماء الفلاحين كان قد استولى على بكين ؟

ومن المسلم به أن التدخل الغربي ابتداء من سنة ١٨٤٠ أعاق دورة الاعمال والفوضى والثورة هذه ، ولم تخمد ثورة التـايبنج (الفلاحين) الا بمساعدة السفن والبنادق الأجنبية (سنة ١٨٥٠ – ١٨٦٥) . ولقد كان عدد كبير من أعضاء الكومنتانج يريدون حقا تحرير الصين . ولكن الحزب ككل كان عاجزا عن حل المشـكلة الثلاثية : ثورة الفلاحين ، والتدخل الغربي ، والاستعمار الياباني .

وقد وضع دكتور صن ، في زمانه المبادىء الثـلاثة الثـورة الصينية (سان مين شوى) وهي : الاستقلال والأمن الاقتصادي (الأرض والأرز والآلات) والديموقراطية وفشل كل من حـزب الكومنتانج وحكومة شونج كنج في تحقيق المبدأين الثاني والثالث ففي عهد شيانج كاي شيك اضطهد ملاك الأرض الفلاحين بقـدر

أكبر وعصروهم مثل الليمون بدلا من اعطائهم بعض الأرض وتهيئة مكان لهم تحت الشمس وبمثل هذا التصرف لم تنفر حكومة شونج كنج الفلاحين فحسب بل نفرت كذلك المثقفين والبورجوازيين الأحرار .

ان الماركسية انتاج أوروبى - وهى تشبه تماما تفسير صينى شامل للديمقراطية - ولكننا لا نبحث فى نمو الشيوعية بالصين فى نطاق ثورة الفلاحين كمجرد ظاهرة أوروبية حديثة بل نتبين كذلك ظاهرة متكررة فى التاريخ الصينى ، تاريخ شعب من الفلاحين

وكان انشاء حكومة فى شونج كنج يعنى الانفصال عن الموانىء البحرية الكبيرة بما فيها من ديمقراطيين وبورجوازيين وطبقة التجار الطموحين .

ولم يكن ملاك الأراضى الكبار الموجودون فى المناطق الداخلية البدائية من البلاد ليسمعوا أى شىء عن الاصلاحات أو عن الاقتصاد الحديث . واستمر كل شىء كما كان . ولم يكن الفلاحون يملكون شيئا : لا أرضا ولا حرية . واستمرت كويكوف وخاصة مدينة يوناني مركزا لتجارة الأفيون والنساء وكانت الواحدة من البنات الفلاحات تباع بسعر يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ فرنك سويسرى ، طبقا لمذكرة المصادر الأمريكية والصينية على السواء .

ويروى الصحفى الأمريكى ادجارسنو (مؤلف كتاب النجمة الحمراء فوق الصين) الذى قضى مدة طويلة يتجول فى الصين أثناء حكم كاى شيك عند بداية الحرب ، أن المنتوان (وهوالبوليس الخاص لملاك الأراضى والمزارعين الأثرياء) والمجموعات العسكرية بقيادة « قطاع الطرق » كان يبلغ فى تعداده حدا يكفى ليكون الجيش الرسمى بأكمله . وأصبحت البلاد تنتقل من أزمة اقتصادية الى أخرى . وكان هذا الوقت هو وقت الحساب بالنسبة للكومنتانج بالرغم من قوته الواضحة .

وهذا يفسر الفشل المتلاحق الذى منيت به المحاولات الصينية فى

ميدان الدفاع وهو جزء من اختلاجات التاريخ الصينى بين الارتفاع والهبوط .

وكان هذا أيضا هو القدر المكتوب لحكومة ثورية فى أصـــلها ومعترف بها فى جميع أنحاء البلاد أن تتخلى عن مبادئها القديمة ومن ثم تسقط فى الحضيض .

لقد كان حكام الأقاليم غير المسئولين وملاك الأراضى والضباط وقطاع الطرق يتمتعون بقدر كبير من الحرية ، بيما كان الفلاحون مقهورين . ولم يكن حرمان الفلاحين من الأرض واهمال تنظيـــم الفيضانات وأعمال الرى والحروب الأهلية ، وبصفة عامة حكم الفوضى سوى دلائل على قرب الوصول الى نقطة تحول يثور عندها الفلاحون المعذبون فى الأرض .

وفى بداية سنة ١٩٤٤ غزت القوات الصينية الأمريكية بورما الشمالية لتأمين الطريق الذى يربط ما بين الصين والهند وفى فترة اقامة الجسر الجوى تمكن الجنود والعمـــال الصينيون بمساعدة المهندسين الأمريكيين من تحرير الجـــزء الصينى من طريق بورما وتوسيعه وانجزوا الخطط والمشروعات الخاصة بالمواصلات ما بين شمال شرقى الصين (ليدو) الى طريق بورما عن طريق ميثاليتا وبهامو . وتم تحرير هذا الطريق تماما فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ وعبرته بالفعل أول دفعة من اللوريات الى داخل الصين الحرة وتم مد هذا الطريق ـ الذى كان يسمى أحيانا بطريق سنتيلويل ـ لمسافة أبعد داخل كيانجسى سنة ١٩٤٥ حتى وصل كنتون تقريبا واقيـم عليه ٦٠٠ جسر من الخشب وامتد لمسافة ٩٠٠ ميل تقريبا وسـط مستنقعات الملاريا والغابات . ومع ذلك فقد كان طريقا رديئا ، وخاصة فى فصل المطر واحتفظ الجسر الجوى بأهميته العظيمة ، وحتى شهر يوليو سنة ١٩٤٥ كانت المعدات التى يتم نقلها بوسائل النقل البرى لا تزال تمثل ثلث المعـــدات التى يجرى نقلهـــا بالطائرات .

وبينما كانت القوات الصينية ـ الأمريكية ـ تتقدم من يونان هاجم الفيلد مارشال هتى اليابانى ، المواقع الصينية فى كيانجسى وهونان وكويشو ، حتى يخفف من الضغط الواقع على قواته فى بورما ، وفى أوائل صيف سنة ١٩٤٤ احتل شنغهاى وهى المدينة الكبيرة الوحيدة فى الصين الحرة ما عـــدا سونج كنج وشنجتو . وتقدم القائد اليابانى بقواته من كانتـون وطــرد الأمريكيين من قواعدهم الجوية الكثيرة والقريبة من كويلين وهى القواعد التى كانت الطائرات الأمريكية تضرب منها السفن اليابانية فى بحـــر الصين الجنوبى وفى الموانى الصينية . وفى ذلك الصيف نفسه تهدد الجيش الصينى خطر الانهيار وبدا واضحا كما لو كانت « الحرب الأهلية الباردة » تأخذ ثأرها .

وفى شهر يوليو ، بعثت واشنطن الى الصين هنرى ولاس ، عضو الحزب الديمقراطى المشهور المعروف بميوله اليسارية ، ليحول دون ازدياد الفتور فى العلاقات بين شونج كنج وينان ، وأوشــك والاس أن يلم شمل الطرفين مرة أخرى ، عندما بدأت القـــوات اليابانية فى التقهقر ـ وكان ذلك بعدما هددت قوات تيروشى بالفعل كوييانج وكان كثيرون من الأمريكيين قد بدأوا يعتقدون أن كونمنج صارت بقعة ملتهبة جدا . هل كان الفلاح اليابانى أيضا يريد العودة الى بلاده ؟ .. ورجع والاس ، واستمر النزاع دون حـــل وكان ذلك اكثر مما تحملته طاقة ستيلويل ، وكان يكره أساليب حكومة شونج كنج وكل ما تمثله هذه الحكومة وأوضح ستيلويل شعوره هذا لشيانج كاى شيك الذى تضايق كثيرا وأرسل خطابا عنيفا الى واشنطن ، كشف الستار عن المدى الكامل الذى وصلت اليه الأزمة فى العلاقات الصينية الأمريكية . ورضخت واشنطن ؟ واستدعت ستيلويل وأحلت مكانه ويدمير ، الرئيس السابق لهيئة أركان حرب مونتباتن ، القائد البريطانى العام فى جنوب شرقى آسيا .

وتحيز ويدمير لآراء شيانج غير الديموقراطية وأيدها • وهنا ظهرت أول علامة للتدخل الأمريكى ضد الشيوعيين ، وهو التدخل الذى ما زالت نتائجه تظهر فى الشقاق بين أمريكا والصين الشيوعية •

وفى مؤتمر يالتا الذى عقد فى شهر فبراير سنة ١٩٤٥ حاول روزفلت وتشرشل أن يحصلا على اعتراف ستالين بشونج كنج بصفتها الحكومة الوحيدة فى الصين ونجحا فى ذلك ، وان كانا قد اضطرا لتقديم بعض التنازلات التى أعادت الوضع الى ما كان عليه سنة ١٩٠٤ : اعادة السيطرة الروسية الصينية على عدة خطوط حديدية ، وجعل بورت ارثر قاعدة للاسطول الروسى ، دارين ميناء حرة ، والاحتفاظ بالوضع القائم فى منغوليا الخارجية واذ أبلغ روزفلت حكومة شونج كنج تفاصيل ذلك الاتفاق أعلنت موافقتها عليه ، فهل توقع أحد من زعماء الكرملين حينذاك ما تحقق فى سنة ١٩٤٩ ، وهو اعتراف روسيا بحكومة شيوعية تحكم الصين كلها ، فيما عدا فورموزا وجزيرة أو جزيرتين صغيرتين ؟.. نورد هذا السؤال لنبين فى بساطة كيف أن عددا قليلا حتى من السياسيين الذين يصنعون التاريخ يمكنهم التنبؤ بما حدث ، أو بتعبير آخر مختلف يمكنهم التحقق من أنهم ليسوا هم الذين يصنعون التاريخ •

وفى أغسطس سنة ١٩٤٥ ، استسلم الجيش اليابانى ، وفى صبيحة ٢ سبتمبر كان توقيع الصين على وثيقة التسليم الى جانب توقيع اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وهولندا واستراليا ونيوزيلندا وكندا وفرنسا ، بمثابة النهاية لاحدى الفترات الرهيبة فى التاريخ الصينى • ولكن الصين الحمراء استبعدت من التوقيع على وثيقة استسلام اليابان • وكان شيانج كاى شيك وحكومة شونج كنج يمثلان فى نظر آسيا وأمريكا وأوربا المتحررة

الامبراطورية الصينية ، احدى الـدول الخمس الكبرى فى الأمم المتحدة •

وكانت تلك الامبراطورية فى ذلك الوقت مهيأة للمرحلة الأخيرة من الثورة • وتحقق ماوتسى تونج ورفاقه من هذا كما تحقق منه عـدد كبير من الديموقراطيين •• وبدا أن حكومة شونج كنج نفسـها تدرك ذلك ايضا ، وذلك لأنها سعت الى تجـديد البلاد وبهذا تخلصها من الحرب الأهلية • وفى سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦، أجرى ماوتسى تونج وشوان لاى سلسلة من المحادثات مع حكومة شونج كنج ، حضرها جنرال مارشال ، رئيس هيئة أركان حرب القوات الأمريكية أثناء الحـرب وولاس نائب الرئيس الذى كان موجودا فى الصين فى الفترة ما بين شهر نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، وشهر يناير سنة ١٩٤٦ ، ولم يكن التصـالح بين الـكومنتانج والشيوعيين « يناير وفبراير سنة ١٩٤٧) الا كالوميض الذى يسبق العاصفة التى أطاحت بحكومة الكومنتانج ، فانهارت مثـل شجرة هاوية • وكان شيانج يعتقد فى الفترة ما بين ١٩٢٧ و ١٩٣٦ أن فى امكانه تحطيم عصابات ماوتسى تونج المكونة من الفلاحين • ولكنه كان مخطئا • ثم أخطأ مرة أخرى سنة ١٩٤٧ ، وذلك لأن عصابات الفلاحين كانت حينذاك هى الصين • وأصبح هناك رباط تاريخى واحد يربط ما بين بكين الحمراء فى شتاء سنة ١٩٤٩ ، وهانكو فى خريف سنة ١٩١١ وكانتون فى صيف ١٩٢٦ ، التى بدأ منها جيش الكومنتانج الثورى الصغير ـ وكان وحده تماما حينذاك ـ الحرب لتحرير البلاد من الاستعمار ومن ثم بدأت المرحلة الحاسمة للثورة الصينية •

٨

اليابان والحرب العالمية الثانية

مرت سنوات كثيرة منذ ان دركت اليابان أهمية الفنـــــون التطبيقية الغربية أى الفنون الحديثة ، وأهمية ذلك فى ادارة الحرب الحديثة • ولقد كان الضباط اليابانيون يدرسون سنـة ١٨٤٢ أثناء حرب الأفيون كيف يدير البريطانيون هذه الحرب ، وفى سنة ١٨٥٥ كانوا يدرسون حرب القـرم وفى سنة ١٨٧١ كانوا يدرسون الحرب الفرنسية ــ الروسية • وفى سنـــــة ١٨٧٠ كان الطلاب اليابانيون يذهبون الى الغرب ، الى احـواض السفن فى بريطانيا وامريكا ومراكز الهندسة فى فرنسا والمانيا• وفى سنة ١٨٨٥ ، كانت اليابان تصنع قوارب الطوربيــد ، وفى سنة ١٨٩٥ كانت تصنع الطردات الخفيفة وكانت سنة ١٩٠٥ ، أقل اعتمادا على مصانع الاسلحة الغربية ، من روسيا •

وعلى عكس الكثيرين من الطلبة الهنود والصينيين ، لم يكن الطلبة اليابانيون يدرسون فى جامعات كامبردج أو هارفـــارد أو باريس يحاولون اكتساب الثقافة الغربيـــة ككل ، بل ركـزوا على تعلم الفنون التطبيقية الحديثة وما تنبنى عليـــه من أســاس علمى عريض وان لم يكن حدودا بعض الشيء من الناحية العقلية وكانت الثورة اليابانية ثورة تكنولوجية بنسبة ٧٥٪ فيما عدا الاصـــلاح الفنى ولم تتخذ اليابان قدوتها من الديموقراطية النامية فى فرنسا وبريطانيا وأمريكا بعد ذلك ، بل اتخذت ألمانيا فى عهد بسمارك نموذجا لها • وان ما أحرزته اليابان فى الفترة ما بين ١٨٧٠ و١٩٤٥ ــ وقد كان كثيراً ــ لم يكن ديموقراطية حديثة آسيوية كانت أم

أوروبية ، ولم يكن الحال فى اليابان مثل الحال مع الراسمالية فى أوروبا وأمريكا، التى قدمت الى آسيا من هاتين القارتين، وكان يحكم امبراطورية الجزر اليابانية ، قوتان احداهما الزيباستو وهم الرأسماليون الجدد ، والثانية كانت الجيش ، الذى كان مناهضا للرأسمالية ومدعيا للاشتراكية مثل الفاشيين فى أوروبا ، وكان غير ديموقراطى على الاطلاق وكانت الامبريالية فى أشكالها الداخلية والخارجية توحد بين هاتين القوتين فى كل فترة من الفترات الحرجة فى التاريخ اليابانى الحديث ، بينما وقفت سلطتهما والبوليس السرى حائلا دون نمو أية حركة اشتراكية أو ديموقراطية حقيقية .

وفى الفترة ما بين ١٨٧٠ ، و١٩٢٠ سارت اليابان فى ركاب الامبريالية الأوروبية ، وهناك وقائع عدة توضح كيف نمت الامبراطورية اليابانية . ففى سنة ١٨٧٥ ، أخذت جزائر كوريل ، وفى سنة ١٨٧٦ جزربونتر (أوجازاوارا) ، وفى سنة ١٨٧٩ جزريو ـكيو ، وفى سنة ١٨٩١ ، جزر فولكان (كازان) وفى سنة ١٨٩٥ استولت على فورموزا ، وهى احدى المكاسب التى نالتها من حربها مع الصين (١٨٩٤) وكان احتلالها بداية الجبروت اليابانى على الصين ، وفى سنة ١٨٩٩ ، اضافت اليابان جزيرة ماركوس الى املاكها ، وهى تبعد حوالى ١٤٠٠ ميل جنوب شرقى طوكيو ، وفى سنة ١٩٠٥ استولت اليابان ،نتيجة لحربها مع روسيا على شبه جزيرة كوانتونج وبورت آرثر والنصف الجنوبى من سخالين (كارافوتو) ، وفى سنة ١٩١٠ استولت على كوريا ، وفى سنة ١٩١٥ احتلت اليابان جميع الجزر الالمانية الواقعة شمال خط الاستواء .

ومع أن الدول الأسيوية بصفة عامة خرجت من فرساى بصورة سيئة ، فان اليابان حصلت على جزر لاماريانا وكارولين مارشال الواقعة شمال شرقى أندونيسيا تماما .

وهيأت الثورات التى نشبت فى روسيا والصين ، وخضوع الدول الغربية فى أوروبا وأسيا للاحتلال التام (التدخل ضد

البلاشفة ، الثورة فى تركيا والدول العربية وايران) . الفرصة للاستعماريين اليابانيين للتوسع فى آسيا ومن ثم الاحتلال المؤقت لسخالين كلها (١٩١٨ـ١٩٢٥) وفلاديفستك (١٩١٨ـ١٩٢٢) وشانتونج (١٩١٨ – ١٩٢٢) .

وعندما انتشرت الثورة الروسية وسدت الطريق الى سبيريا، ووقف الغرب فى طريق المزيد من التوسع فى الباسفيك ، بدا أن اليابان اخذت تفيق وتسعى الى السير فى طريق الديموقراطية .

ولكن امبريالية طوكيو ظلت تحلم بالسيطرة على الصين والاستيلاء على الفحم والحديد والقطن وعلى الطريق الى سيبريا والى جنوب شرقى آسيا .

وفى ليلة ١٨ـ١٩ – من سبتمبر سنة ١٩٣١ ، عندما كان الغرب يواجه أزمة اقتصادية عنيفة ، أثار جيش كوانتونج «حادثة موكدن » وكانت هذه الحادثة بداية احتلال منشوريا ، وبداية الحرب الأسيوية العظمى ، وكان الغرب مفككا ، فلم يبذل أى مجهود للحد من اطماع اليابانيين منذ حادثة بكين ، (صيف ١٩٣٧) التى حددت بداية الاحتلال اليابانى لجميع المناطق الشرقية من الصين حتى احتلال هاينان (فبراير سنة ١٩٣٩) . وكانت أوروبا مشغولة بمتاعبها الخاصة ونمو الفاشية المنتشرة ، فى المانيا بصفة خاصة ، والحرب الحبشية (١٩٣٥ – ١٩٣٦ ؟ ، واقدام هتلر على اعادة تسليح منطقة الرين (١٩٣٦) والحرب الأهلية الأسبانية (١٩٣٦ – ١٩٣٩) وأزمات النمسا وتشيكوسلوفاكيا (١٩٣٨) والأزمة التولندية واندلاع نيران الحرب فى أوروبا فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ .

وعندما استولى الأسطول اليابانى بعد احتلال هينان على أول الممتلكات الغربية وهى جزر سبارتلى الخالية من السكان (وتقع فى بحر الصين الجنوبى فى منتصف الطريق ما بين اندونيسيا

وبورنيو) وهى التى كان يعترف دوليا بأنها من ممتلكات فرنسا ، كان هذا معناه أنه أصبح لدى اليابان خبرة واسعة فى عمليات الغزو الحربى وكان لها أربعون فرقة فى الصين و ٣٠٠ مراسل حربى ، تزين تقاريرهم اليومية الصفحات الأولى فى الجرائد اليابانية، وعندما احتلت القوات اليابانية جزءا من الهند الصينية فى صيف ١٩٤٠، كان الألمان قد أصبحوا بالفعل سادة باريس وبروكسل ووارسو، وامستردام وكوبنهاجن واوسلو .

وبينما كانت مدينة لندن تحترق ، كان ماتسوكا وزير الخارجية اليابانية فى برلين حيث وقع فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠، المعاهدة اليابانية الألمانية الايطالية العسكرية المشهور ، التى كانت امتدادا لاتفاق مناهضة الكومنترن الذى وقعته الدول الثلاث قبل ذلك فى نوفمبر سنة ١٩٣٦ وقبل ان يعود ماتسوكا الى بلاده عن طريق سيبيريا ، أطلعه هتلر على خططه بغزو روسيا ، ويرجع هذا الى نهاية سنة ١٩٤٠ ونتيجة لذلك قطع ماتسوكا رحلته فى موسكو حيث وقع فى ١٣ من ابريل سنة ١٩٤١ ،معاهدة الحياد الروسية اليابانية ، ولم تعلم برلين بهذه المعاهدة ، الا قبل ان يوقعها ستالين وماتسوكا بنصف ساعة . ان آسيا للاسيويين

وكان واضحا أن اليابان ترغب فى الاتفاق مع المانيا اكثر مما ترغب الاتفاق مع اية دولة بيضاء أخرى . وكانت اليابان تتوجس خيفة من خداع المانيا بمثل توجسها من التدخل الأمريكى

وانتظرت طوكيو ، ولم تكشف اليابان خططها لأحد أو حتى للألمان وأعفيت بريطانيا من الضغط الألمانى، ولكن هتلر احتفظ بخطته بالنسبة لروسيا ، ففى ٢٢ من يونيو سنة ١٩٤١ ، بدأ الغزو ، واستمرت اليابان تنتظر .

وفى شهر سبتمبر كانت الصحف اليابانية تقول أن القوات الألمانية تحارب عند لينينجراد مثل اليابانيين . وفى أكتوبر استولى هتلر على فياسما ، التى تقع على بعد ١٣٠ ميل من موسكو ، كما

استولى على كل مناطق أوكرانيا تقريبا ، وعندئذ اعتقد اكلة النيران فى طوكيو أن الوقت قد أزف حقيقة . وفى شهر أكتوبر الحرج اصبح توجو رئيسا للوزارة اليابانية (١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٠ - الى ١٨ يوليو سنة ١٩٤٤ ، وتولى كذلك منصب وزير الحربية من يوليو سنة ١٩٤٠ الى يوليو سنة ١٩٤٤) واذ كان توجو رئيسا لهيئة أركان حرب جيش كوانتونج قلب الهجوم اليابانى ورمزه فى آسيا ، فقد كان استعماريا فى أعماقه . وكان تعيينه يعنى الحرب ، وكان كل ماينبغى تقريره هو المكان والطريقة ، ولم يكن الأسطول الذى أنشأته اليابان لعبة ، بل كان فى قوته مساويا تماما لقوة الأسطول الأمريكى ، ١٢ بارجة حربية ، و٢٠ ناقلة جنود ، و٣٥ طرادة و١٢٥ مدمرة و١٢٥ غواصة .

وكان لدى اليابان أيضا ثالث أكبر الأساطيل التجارية فى العالم وقد تدرب جنودها على مختلف فنون الحرب فى تلال أمور الثلجية وفى مزارع القمح فى الصين . وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ ،كانت القوات الألمانية تهاجم ليننجراد وموسكو وسيباستبول . وفى اليوم السابع من ذلك الشهر أقلعت الطائرات اليابانية من حاملة الطائرات تاجامو ، وضربت بقنابلها قاعدة الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور التى تقع على بعد يزيد قليلا عن ستة أميال من هونولولو، وفى خلال نصف ساعة كان ٢٠٠٠ من الأمريكيين قد قتلوا ، وأغرقت البوارج الحربية أريزونا وكاليفورنيا وأوتاه ، من بين الثمانى بوارج التى كانت موجودة فى الميناء ، وجنحت البارجة أوكلاهوما ، وشبت النيران فى البارجة نيفادا ، أما البوارج الثلاث الباقية فأصيبت بأضرار خطيرة . وبعد ذلك بثلاثة أيام ، أغرقت الطائرات اليابانية البارجتين البريطانيتين برنس أوف ويلز وريبالس ، بالقرب من ساحل الملايو ، وأصبح الجزء الجنوبى من الباسيفيك فى قبضة اليابانيين .

وتحولت وسائل النقل اليابانية جنوبا الى الفلبين والملايو وأندونيسيا . واعلنت هولندا وبريطانيا والولايات المتحدة

الحرب على اليابان ، وهكذا صارت الحرب الأوروبية فى سنة ١٩٤١ هى الحرب العالمية الثانية . ومهما كان التقدير لتصرفات اليابان فى سنة ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ سواء اعتبرت تحريرا لجنوب شرقى اسيا من الغرب أو اعتبرت امبريالية صريحة أو الاثنين معا، فانه يجب على المؤرخ ألا يترك شعوره الشخصى يتحكم فيه ، لأنها ستظل أعظم الاحداث اثارة للاهتمام فى تاريخ الحرب . فلم يحدث فى تاريخ الحرب ان اخضعت دولة مثل هذه الأراضى الكثيرة الواسعة التى أخضعتها اليابان لسيطرتها وفى فترة قصيرة جدا ، وهى أراضى لايمكن الوصول اليها الا عن طريق البحر ، وتحديا لأكبر قوتين بحريتين فى العالم ، وأكثر من ذلك فان عدد من قتل من اليابانيين فى الفترة ما بين ديسمبر سنة ١٩٤١ مارس سنة ١٩٤٢ لم يزد عن ١٥ الف .

ولقد كانت الامبراطورية اليابانية فى بداية مارس سنة١٩٤٢، تضم فعلا بالاضافة الى المناطق الصينيةالمحتلة من قبل جميع مناطق جنوب شرقى اسيا وجميع الجزر الواقعة فى حدود الخط الممتد بين الكانال الى الفونافوتى (جزائراليس) ـ وجزرواك ، وهى منطقة سكانها حوالى ٥٠٠ مليون ومساحة يكاد يصعب حصرها ، فالمسافة من طوكيو الى فونافوتى (٤٧٠٠ ميل) وهى نفس المسافة بين موسكو ونيويورك ، والمسافة من طوكيو الى جاكارتا ، (٣٧٥٠ ميل) مثل المسافة من امستردام الى نيويورك . وسعت طوكيو فى الفترة ما بين ابريل ويونيو الى مد تلك المنطقة فى الاتجاهات الاربعة : ـ سيلان ـ الهند ـ وبحر الكورال ـ استراليا ، وهاواى والاسكا ، ثم مسرح الحرب الذى يمتد فى مساحة طولها ٨١٠٠ وعرضها ٦٢٥٠ ميل ، والمسافة بين جاكارتا وامستردام تبلغ ٧٠٠٠ ميل .

ولم تكن الحرب فى البحر ، أثناء مفاوضات كريبس فى الهند مليئة بالأحداث مع أن البريطانيين فقدوا طرادتين وحاملة جنود (٦)

= ٬٬ أبريل) وفى المنطقة الغربية لم يحدث شىء يذكر فى البحر وأغسطس جزيرة مدغشقر ، التى كانت خاضعة لحكومة فيشى فى فرنسا وذلك كما قالوا ، لتأمين الطريق البحرى الى مصر وايران ضد أى تصرف قد تتخذه اليابان فى تلك البحار .

وفى بداية شهر مايو غادر اسطول يابانى بقيادة تاكاجى ، القاعدة البحرية الجديدة فى تولاجى (فى جزيرة فلوريدا شمال جوادالكانال) لها الى جزر هيبريد الجديدة وجزر ساموا فيما يظهر لاحتلالها وقطع طرق المواصلات بين أمريكا واستراليا . وفى الفترة ما بين ٤ من مايو و٨ من الشهر نفسه ، طرد الامريكيون اليابانيين خارج بحر كورال ، وخسرت اليابان حاملة جنود خفيفة وأربع طرادات وعدد كبير من السفن الصغيرة (بلغ وزنها جميعا ١٠٠ الف طن ؟ وكانت هذه أولى الكوارث التى لحقت باليابانيين .

وفى العمليات التالية ، وجه اليابانيون هجومهم ضد الميناء الهولندى فى جزيرة أونالاسكا الأمريكية الواقعة فى مواجهة ساحل ألاسكا) وضد جزر هاواى وطردت السفن القليلة نسبيا التى كانت موجودة فى الميناء الهولندى فى أوائل شهر يونيو ، وقام اليابانيون فى طريق عودتهم الى وطنهم ، بالاستيلاء على جزر أتوواجاتووكيسكا الصخرية الواقعة جنوبى بحر بيرنج ، وان تكن هذه الجبهة لاتحوى فيما عدا مركز الأرصاد الجوية سوى الأعشاب والصخور والثلوج .

ولكن الموقف فى غرب هاواى ، وفى جزيرة ميدواى بالذات كان أكثر خطوة بقدر كبير فقد اعد ياماموتو القائد العام للاسطول اليابانى أسطول غزو كبير مؤلف من ٥ ناقلات للجنود ، فى مقابل ٣ ناقلات للامريكيين و٧ بوارج حربية بما فيها البارجة الحربية ياماتو التى تبلغ حمولتها ٦٤ الف طن ، وهى مقر قيادة ياماتو ، ولم يكن للامريكيين هناك أى بوارج حربية و١٣ طرادة فى مقابل ٨ طرادات للامريكيين ، و ٤٥ مدمرة فى مقابل ٢٠ مدمرة

للامريكيين و١٢ سفينة نقل بقواتها وذلك لاحتلال جزيرة ميدواى ولكن الأريكيين تنبأوا بخطة ياماموتو وكان في متناوله ابالاضافة الى ذلك عدة مطارات حديثة وكان الهجوم على ميدواى (٣ ـ ٥ يونيو) تكرارا دمويا لما سبق أن حدث فى بحر الـــكورال ، وفى ظهيرة اليوم الخامس من يونيو ، انسحب الاسطول اليابانى نجاه الغرب ، بعد أن فقد أربع حاملات للجنود وطرادين وعدد كبير من السفن الصغيرة ٠

وتعد هذه المعركة بعد معركة بحر الكورال ثانى معركة حربية فى التاريخ تقف فيها السفن الكبيرة بعيدة عن بعضها ولا تطلق أية طلقة فقد كانت معركة جوية فوق البحر ٠ وكانت هذه ايضا هى المرة الأولى التى يجنح فيها الأسطول اليابانى الى الفرار منذ عـام ١٥٩٢ عندما فر فى معركة كوريا ولربما لم تجد معركة ميداواى في وقتهاالتقدير الكافىولكنها كانت ستالينجرادالمحيطالباسيفيكى اذ وضعت هذه المعركة نهاية لامتلاك طوكيو زمام المبادرة وللتوسع فى الامبراطورية ٠

وفى ١١ من ديسمبر سنة ١٩٤١ أعلنت برلين وروما الحرب على الولايات المتحدة وفى أول ينـــاير سنة ١٩٤٢ وقعت ست وعشرون دولة ديموقراطية وثيقة اعلان الأمم المتحـــدة وأعلنت موافقتها على ميثاق الأطلنطى الأنجلو أمريكى وهذه الـــدول هى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وروسيا ، والصين ، وهولنـــدا ، واستراليا ، وبلجيكا ، وكوستاريكا ، وكوبا ، وجمهورية الدومنيكان واليونان وجواتيمالا وهايتى وهندوراس والهند ويوغوسلاكياوكندا ولوكسمبرج ونيوزيلاند ونيكاراجوا والنرويج وبناما وبولنـــدا وسلفادور وتشيكوسلوفاكيا وجنوب أفريقيا . وكان الاتحـــاد السوفييتى هو الدولة الوحيدة من هذه الدول التى لم تكن مشتركة فى الحرب الأسيوية وكانت ثمانى دول منها خاضعة للاحتلال وكان نصف الصين تقريبا محتلا من اليابان ، وبدا فى صيف سنة ١٩٤٢

ان الأخطار تهدد ستالينجراد ومنطقة الفولجا ومنطقة القوقـــاز وآسيا السوفيتية ومصر واستراليا والهند وهايتى .

وفى فبراير سنة ١٩٤٢ وافق روزفلت وتشرشل كما سبق ان ذكرنا ، على أن تحرير أوروبا له الأسبقية ثم تأتى بعد ذلك الحرب ضد اليابان . ولكن تلك السنة ، سنة ١٩٤٢، كانت نقطة التحول فى كلا الميدانين : معركة العلمين فى افريقيا ومعركة ستالينجـراد فى روسيا وفى الباسفيك كانت معركة ميدواى وجوادالكانال .

وسوف نقصر حديثنا هنـــا على معركة جزر الباســفيك . كانت الصناعة الأمريكية والفنون التطبيقية الأمريكية والقــوات الامريكية هى وحدها التى طردت اليابانيين من تلك الجزر بينما صدت القوات الصينية والهندية والروسية على وجه الاجمــال اليابان عن منطقة شرقى آسيا .

وقد تحدثنا عن الحرب فى القارة الاسيوية وعن فترة الاحتلال فى جنوب شرقى اسيا .

وبصرف النظر عن مدى كراهيتنا للحروب ، وفى رأى اولئــك الذين يفكرون فى الانسانية ككل ان كل الحروب ماهى الا حروب أهلية ــ فانه يتحتم علينا الا نسمح لانفسنا بالتقليل من مغزاها . فان الحروب والثورات ماهى الا جزء هام من التاريخ مثــــل الاقتصاد والثقافة فى مفهومهما الضيق . ولقـــد وضعت كل من حروب الاسكندر والرومان والعرب والمغول وحرب الاســـتقلال الأمريكية وحملات نابليون ، والثورة الفرنسية والثورة الروسيــة علاماتها المميزة فى عصورها وان انتشـــار الثقافات وسوقطها ، وامتداد رقعة الامبراطوريات وتقلصها ليلخص فى أسماء وأمــاكن معينة مثل كاناى والقسطنطينية والطرف الاغرووواترلو وتسوشيما وسنغافورة وستالينجراد .

وفيما بين ١٩٤٢ ــ ١٩٤٥ هاجمت القوات الأمريكية اليابانيين من اتجاهين : الاتجاه الشمالى الغربى من استراليا عن طريق غينيا

الجديدة والجزيرة المجاورة (وكان القائد العام فى هذا الهجوم هو ماك آرثر) ومن ناحية الغرب من هاواى عن طريق الجزر الصغيرة الكثيرة التى تقع غربها ، (كان القائد العام المسئول على تلك العملية هو نيمتز) واتحدت القوتان فى غزو الفلبين .

وفى سنة ١٩٤٢ وفى القسم الاسترالى وصلت القواتاليابانية الى الساحل الشمالى لغينيا الجديدة ، والى جميع الجزر المجاورة من مجموعة جزر ميرالتى حتى جزر اليس ، ومع ان معركة بحر الكورال قد حالت دون احتلال اليابان لجزر هبريد الجديدة وجزر ساموا فان القوات اليابانية فى غينيا الجديدة استأنفت تقدمها من جديد فى الاتجاه الجنوبى الشرقى ، وهدفها الرئيسى فى تقدمها هذا هو الاستيلاء على ميناء موريسبى وهو الميناء الهام الوحيد الذى لم يكن قد وقع فى قبضة اليابانيين حتى ذلك الوقت ، وتوقف تقدم القوات اليابانية عندتلال ايوريوابيا (سبتمبر ١٩٤٢) وفى ٢ من نوفمبر كانت القوات الاسترالية تقف الى الوراء عند كوكودا فى الجبال المرتفعة الواقعة بين ميناء موريسبىوالساحل الشرقىلغينيا الجديدة وكان هذا خيرا فى هذه المرة . وقد تغير الموقف فى هذه المنطقة مثلما حدث تماما فى الفولجا والنيل ..

واثناء ذلك الوقت ، كانت القوات الامريكية القادمة من نيوزيلندة قد نزلت فى جوادلكانال حيث كانت القوات اليابانية قد انشأت قاعدة جوية لحماية اية عمليات أخرى قد تقوم بها فى بحر كورال . وانتهت المعركة الرهيبة فى الجزيرة الرطبة المملوءة بالغابات وما صاحبها من عمليات كثيرة فى البحر اتمتها قوات الاسطول الامريكى بنجاح تام ، فى ليلة يوم ٧و٨ فبراير باجلاء ١٢ ألف جندى من القوات اليابانية واطلقت الصحف اليابانية على هذه العملية اعادة تجميع القوات ، وبلغت خسائر اليابانيين ٢٤ الف قتيل فى جواد لكانال ، وهى خسارة فاقت خسائر اليابانيين فى غزوهم لمنطقة جنوب شرقى آسيا كله ، وخسر الأمريكيون ١٨٠٠

قتيل ، من ٦٠ الف جندى هم مجموع عدد القوات الأمريكية التى اشتركت فى المعركة ..

وفى شهر ديسمبر ١٩٤٣ كان الروس قد حرروا بالفعل جميع مناطق اوكرانيا وكانت ايطاليا قد استسلمت (فى شهر سبتمبر) ـ احتلت القوات الامريكية جميع الجزر الواقعة بين جوادلكانال ونيوبريتان (خليج بسمارك) وغينيا الجديدة ، من خليج ميلن فى أقصى الجنوب الشرقى الى فنشهافن التى تقع فى مواجهة نيوبريتان . وكان من جراء اعادة احتلال مجموعة جزر أدميرالتى وجزر سانت ماتياس (فى فبراير سنة ١٩٤٤) أن عزلت رابول وهى القاعدة البحرية اليابانية فى منطقة الجنوب الشرقى من آسيا ، عزلا تاما . ومن ثم تقدم ماك ارثر مسافة ١٥٠٠ ميل غربا الى ايتاب وهولانديا وخليج تاناهمران والى جزر واكدى وبياك وفى شهر يوليو تقدم نحو خليج نويمفوجيلونيك فما أن حل شهر سبتمبر حتى كان ماك آرثر قد وصل الى ماروتاى فى شمال خليج هالماهيرا الاندونيسى على بعد ٢٨٨٠ ميل تقريبا من الفلبين . وفى ذلك الوقت نفسه كانت القوات الاسترالية قد طهرت الغابات الاستوائية والاحراش الممتدة على طول ساحل غينيا الجديدة وحاصرت حوالى ١٥٠ الف جندى يابانى ..

وقد ظهرت من جديد خطط « القفز من جزيرة إلى اخرى » التى ترتب عليها عزل عدد كبير من القوات اليابانية ، فى الحملة الامريكية فى الشرق ، ابتداء من هاواى قاعدة هذه الحملة وكانت قد بدأت فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ . وتبعد هاواى بأكثر من ٢٠٠٠ ميل عن أقرب جزر اليابان . وكان الامريكيون مايزالون قليلى الخبرة فى عمليات الغزو . وقد جعلت مذبحة غاليبولى التى حدثت سنة ١٩١٥ الغرب يشك فى أمكان اجراء الغزو عن طريق البحر .. وفى سنة ١٩٤٠ لم يكن لدى بريطانيا أو الولايات المتحدة أواليابان سفن صالحة لعمليات انزال الجنود . كما لم يكن لدى الالمان كذلك

سفن من هذا النوع ، فقد اعيد بناء مصانع السفن فى منطقة الراين استعدادا لغزو بريطانيا •• وأرسلت الولايات المتحدة كل ما أمكنها الاستغناء عنه من السفن اولا الى بريطانيا ومصر ، وغيرهما من قواعد الحلفاء •• ومن بين اﻟ ٢٥ الف سفينة لانزال الجنود التى تم انشاؤها فى المصانع الامريكية سنة ١٩٤٣ ارسلت امريكا نصفها الى موانى بريطانيا للمساهمة فى عمليات انزال الجنود فى شمال افريقيا وصقلية وايطاليا ونورماندى •

وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ظهرت سفن نيمتز عند جزر جيلبرت وكانت عملية غزو تاراوا والمذبحة التى حدثت فيها صورة لما قامت عليه الخطط اليابانية فى حرب الجزر هذه ولم يعد لليابانيين بعد ذلك أية مواصلات فى البحر ولم يبق لهم سوى شجاعتهم

وفى ١٨ يوليو أعلنت الصحف اليابانية سقوط سايبان ، وفى اليوم التالى استقالت حكومة توجو وتحولت الحكومة الجديدة برياسة كونياكى كويزو (من ٢٢ يوليو سنة ١٩٤٤ الى ١٥ابريل سنة ١٩٤٥) الى اراء الرأسماليين اليابانيين وتبين ذلك من تعيين فيدجيهارا وزيرا للانتاج الحربى . وسعى تاكيتورواوجاتا وزير الاستعلامات الجديد والصحفى السابق الى حد ما على الاقل ، الى التخلص من السرية المتطرفة القديمة ، ومن البيانات الرسمية الغامضة المبهمة ومن ممارسة التغاضى عن الاخبار غير السارة وذلك حكومة كويزو ايضا باعلانها حرية اندونيسيا على ان طوكيو ومنطقة الباسفيك وصلت الى نقطة تحول وسعى كويزو وحينذاك وقد اصبحت اندونيسيا تواجه تهديدا مباشرا ، للالتقاء مع رغبات المناطق المحتلة ••

وقد يكون سقوط سايبان وياواتا وصدى الاحداث التى وقعت حينذاك فى نورماندى وشرق أوروبا ، سببا للازمة التى حدثت فى شهر يوليو ولكن السبب الحقيقى لهذا الانقلاب الذى يكاد ان يكون ثوريا فى طوكيو فكان يكمن فى ادراك الموقف الحقيقى

الذى تواجهه اليابان ، وتفوق الامريكيين فى البحر والجو وفى ميدان الصناعة والفنون التطبيقية ، وهو تفوق مزدوج لم يكن لليابان من قدرة على تحديه ..

واذا كان هناك حرب صارع فيها اقتصاد معين اقتصادا آخر وصارعت صناعة أخرى لكانت هى حرب سنة ١٩٤٠ - ١٩٤٥ فى أوروبا وآسيا . لقد كان لدى المانيا واليابان جيوش نموذجية وكان شعب كل من الدولتين قادرا على الاختراع ، مثل شعوب الدول الحليفة تماما . ولكن ، بصرف النظر عن مقاومة بريطانيا وروسيا والصين ، كانت الصناعة فى امريكا وترسانة السفن والمناجم الأمريكية القائمة فى امان تام بين المحيطين هى التى حطمت أطماع برلين وطوكيو ..

واليوم ، تعتبر كلمة « حرب » مرادفة للفحم والحديد والصلب والبترول والمطاط والالمنيوم ، وقد كان للامبراطورية وحبهم لوطنهم ، ومخازنهم الخرسانية والرمال والمرجان الابيض وغابات النخيل ، ولقى جنود فرقة كاملة مؤلفة من ٣٥٠٠ جندى حتفهم جميعا ولم يسمح لواحد منهم لنفسه أن يقع حيا فى الأسر ؟ وفقد الأمريكيون ١٠٠٠ رجل وكم من قصص تروى عن اليابان وبطولة اليابانيين . ولقد يكون جديرا بالذكر هنا أن الشعب الياباني على وجه العموم لم يكن متحمسا جدا فيما يبدو للعمليات الانتحارية .

وفى مايو سنة ١٩٤٣ اعادت القوات الامريكية والكندية احتلال جزيرة اتو الكئيبة التى تقع فى بحر بيونج ، وقد قتل كل المدافعين أو انتحروا . وفى شهر اغسطس اظهرت عمليات الاستكشاف ان الحامية اليابانية قد رحلت الى أماكن اكثر أمنا وتنفست اليابان الصعداء . ولكن اليابانيين لم يتخلوا عن شجاعتهم ، وحتى صيف ١٩٤٤ لم يصل الى طوكيو اى شىء من المراكز الامامية البعيدة نسبيا سوى الانباء المزعجة .

وتغير الموقف حين ظهر نيمتيزبقواته فى شهريونيو سنة ١٩٤٤ بالقرب من جزرماريانا المليئة بالتلال والتى تمتد داخل حدود الامبراطورية وتبعد عن طوكيو بما يزيد قليلا عن ١٢٠٠ ميل وكانت جزر سايبان وتنيان وجوام تشبه ثلاثة تلال من الاحجار والصخور مرتفعة فوق سطح البحر • وفى ساعة مبكرة من ١٥ يونيو نزلت الدفعة الاولى وعددها ٨٠٠٠ جندى من القوات الامريكية وعددها ٥٠ الف جندى فى ظرف عشرين دقيقة وادى تدخل الاسطول اليابانى للحيلولة دون وقوع الغزو على نمط غزو جواد لكانال فى حدوث معركة بحرية غرب الجزر (١٨ـ٢٠ يونيو) وتعرف هذه المعركة بانها معارك الفلبين وقد اعترفت اليابان بعدها بفقدها لثلاثة حاملات جنود حمولة كل منها ٣٠٠٠٠طن وفى أثناء الاسابيع الثلاثة الدموية من القتال قتل جميع المدافعين اليابانيين فى جزيرة سايبان وعددهم ٣٠ الف جندى ووصلت المعركة الى نهايتها المريرة عندما قام ٢٠٠٠ جندى يابانى بهجوم انتحارى مضاد وهم يرددون هتافاتهم بحياة اليابان فى ليلة ٧و٨ يونيو وفقد الامريكيون ٤٥٠٠ جندى • وفى المعارك التى دارت حول جوام (٢١ يوليو ــ ١٠ اغسطس) تينيان (٢٤ يوليو ــ ١٢ اغسطس) فقد اليابانيون ٢٥ الف جندى ، وفقد الامريكيون ٢٠٠٠ جندى •

وقد تغيرت الاحوال بكل تاكيد منذ اليوم العاشر من ديسمبر عندما تمكنت قوة يابانية قوامها ٥٠٠٠ جندى من الاستيلاء على جوام فى ظرف بضع ساعات •

وبلغت حملة نيميتز التى استمرت ٤٠ اسبوعا قمةمراحلها عند غزو بليليو احدى جزر بالاو التى تبعد حوالى ٩٠٠ ميل جنوب غربى جزر ماريانا فى فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤ وهو اليوم نفسه الذى انزل فيه ماك ارثر قواته فى موروتاى القريبة من هالماهيرا وكان تقهقر القوات اليابانية لمسافة ٥٠٠٠ ميل من هاواى الى

بليليو يعنى فقد اليابان لجميع استكاماتها الدفاعية الخارجية ، وتحطم كل أوهام اليابانيين فى سلامة خطوط المواصلات بين المصانع اليابانية وقواتهم فى « حديقة جنوب شرقى آسيا » .

أما كيف قدرت طوكيو دلالة هذه الأحداث ومثيلاتها فى أوروبا فيتبين من تغيير الحكومة فى يوليو سنة ١٩٤٤ .. ففى بداية سنة ١٩٤٤ بدأت تظهر الاختلافات بين القيادات العليا للجيش والاسطول حول الاستراتيجية الحربية فكان الاسطول ووزير البحرية اليابانية شيجتارو شيمادا يريدون تقصير خطوط المواصلات مؤقتا وسحب القوات القوات الموجودة فى الاماكن البعيدة نسبيا (اكتوبر سنة ١٩٤١ الى يوليو ١٩٤٤) ورفض رئيس الوزراء توجو ورفاقه التخلى عن اى شبر من الاراضى التابعة للامبراطورية وأيد رجال الاقتصاد الرأسماليون بصفة عامة اراء رجال الاسطول الاكثر تحررا ..

وفى ٦ يونيو سنة ١٩٤٤ نزل اكبر جيش للغزو عرفه التاريخ على ساحل نورماندى على بعد حوالى ٣٠٠ ميل من منطقة القلب الحديدى « لقلعة اوروبا » وكان الروس قد حرزوا اراضيهم حينذاك وكانت قواتهم تتقدم عبر اوروبا الشرقية . وفى ١٥ يونيو نزلت القوات الأمريكية فى جزيرة سايبان وفى ذلك اليوم نفسه قذفت الطائرات الأمريكية القادمة من الصين بقنابلها على مدينة ياواتا المشهورة بصناعة الصلب والتى تقع فى جزيرة كيوشو اى قلب اليابان نفسها .

وقد بلغت اليابان سنة ١٩٤١ نفس القدرة الانتاجية لفرنسا تقريبا وكان انتاج الكهرباء فى المستوى نفسه الذى كانت عليه بريطانيا ولكنها اذا قورنت بأمريكا التى أعلنت عليها اليابان الحرب فى ديسمبر سنة ١٩٤١ فان ذلك كان قليل الأهمية .

واليك هذه الارقام ..

النسبة المئوية للانتاج

	الفحم		البترول		الحديد		الصلب	
	١٩٤٢	١٩٤٤	١٩٤٢	١٩٤٤	١٩٤٢	١٩٤٤	١٩٤٢	١٩٤٤
الولايات المتحدة	٣٥	٣٥	٦٠	٧٠	٣٠	٥٠	٤٠	٥٥
اليابان	٦	٥	٦	٢	٦	٥	٥ر٥	٤

وماذا عن المطاط ؟.. الم تحتل اليابان سنة ١٩٤٢ تسعة أعشار البلاد التى تزرع المطاط « الملايو واندونيسيا والهند الصينية وبورنيو البريطانية » ؟ وكان اكتشاف الألمان – ويرجع تاريخه الى الحرب العالمية الاولى – امكان انتاج مطاط صناعى من الفحم والطباشير ، ثم انتاج الكحول من البطاطس بتكاليف أقل وربح أكبر أساسا للانتاج الأمريكى من المطاط الصناعى ومع سنة ١٩٤٣ كانت المصانع الجديدة الكثيرة فى الولايات المتحدة تقوم بانتاج كميات كبيرة من المطاط المصنوع من النفط الخام والكحول تعادل ما انتجته مزارع العالم فى سنة ١٩٣٩ . ولم يكن لدى اليابان فائض من النفط الخام أو من الفحم أو من البطاطس . وكان انتاج مزارعها فى جنوب شرقى آسيا قد هبط وفى سنة ١٩٤٤ كان انتاج اليابان من المطاط يعادل ١/٨ انتاج الولايات المتحدة منه ..

وقد حقق الفنيون اليابانيون والصناعة اليابانية تقدما كبيرا فى الانتاج فى تلك الفترة – وان ارقاما مثل ٦٥ر٥٠٠ طائرة ، و ٤ مليون طن من حمولات السفن الجديدة لتعتبر كميات كبيرة – ولكن بالرغم من هذا فان الانتاج اليابانى كان متخلفا جدا عن الانتاج الأمريكى ..

ومع أن الولايات المتحدة لم تكن تملك سنة ١٩٤٠ الا فرقة واحدة مسلحة بأسلحة حديثة ولم يكن لديها صيف سنة ١٩٤٢ الا حاملة

جنود واحدة ، وهى « الانتربرايز » فى الباسفيك « المحيط الهادى » فانها استطاعت فى بدايات سنة ١٩٤٣ أن تسد كل الثغرات فى استحكاماتها الدفاعية بالباسفيك وأن تعيد التوازن الفنى وتدفقت المعدات الأمريكية على الجبهة بانتظام ولنذكر فى هذا الصدد أن طول الخط البحرى بين نيويورك ـ سان فرانسسكو ـ هاواى ـ سايبان يبلغ ٨٧٥٠ ميل .

وفى شهر سبتمبر وزع ماك أرثر ونيمتز مائة حاملة جنود على طول الخط الواصل ما بين هالما هيرا وجزر ماريانا وبهذا حطماخط الدفاع اليابانى بينما اوقفت غواصاتهما المنتشرة فى المحيط الباسفيكى كله بل وفى المياه الساحلية خسائر فادحة بالسفن التجارية اليابانية . وقد كان لليابان سنة ١٩٤١ ،ثالث أكبرأسطول للتجارة فى العالم وتبلغ حمولته الاجمالية ٦ ملايين طن وقامت أثناء الحرب ببناء أو انتزاع سفن حديدية حمولتها ٤ ملايين طن وسفن خشبية حمولتها حوالى ١٠ ألف طن وكانت الملاحة بالنسبة للامبراطورية اليابانية المكونة من عدة جزر تشكل الرابطة الوحيدة بين الصناعة والقوات المسلحة وكانت المواصلات البرية بالنسبة لليابان على عكس المانيا تماما قليلة الاهمية جداً .

وفى سنة ١٩٤٣ ، فقدت اليابان حوالى ٣٠٠ سفينة ، وغرقت ٢٠٠ سفينة أخرى فى صيف سنة ١٩٤٤ وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٤ لم تكن اليابان تملك من السفن الا ماحمولته حوالى ٢ مليون طن وقد حدث ذلك كله فى مياه أبعد ما تكون عن الأمان .

وكان ذلك وحده يعنى النهاية اذ لم تكن اليابان تواجه فى ذلك الوقت اضمحلالا فى القدرة الانتاجية من السفن فحسب بل كانت تواجه كذلك مشكلة انعزال قواتها الموجودة فى جنوب شرقى آسيا من مراكز الصناعة وترسانة السفن فى اليابان ولم تكن الخطوط الخارجية وحدها هى التى انفصلت عن القلعة الداخلية سنة ٤٣ ـ ١٩٤٤ بل ان المواصلات بين طوكيو وبرلين عن طريق جنوب

شرقى آسيا وسيبيريا كانت قد تحطمت تماما . واستمرت المانيا محرومة من القطن والمطاط والصفيح والالمنيوم الواردة من آسيا واستمرت اليابان محرومة من الفنيين الالمان وانتاج المصانع الالمانية ويتبين من كتاب نشره الكابتن موتشيسورا هاشيموتو ، احد ضباط الاسطول اليابانى مدى ضعف الغواصات اليابانية بالنسبة للغواصات الأمريكية حتى وان كانت قد وصلت الى أحد الموانى اليابانية غواصتان المانيتان صغيرتان أريد منهما أن تكونا نموذجين لصناع السفن اليابانيين .

وقد ظهر مدى الخسارة التى ألحقت باليابان من جراء انقطاع سبل المواصلات بينهما وبين المانيا عندما حاولت الغواصات اليابانية سبع مرات الوصول الى القاعدة البحرية الألمانية فى بريست لتتبادل المعلومات الفنية مع الخبراء الالمان ولتحضر الفنيين الالمان الى اليابان وقد اصيبت الغواصات اليابانية كلها عدا غواصة واحدة هى التى عادت الى مياه جنوب شرقى آسيا دون أن تلحق بها أية اصابة ..

ومن السهل اعطاء امثلة للتفوق الفنى الامريكى الذى يرجع اليه الفضل فى الانتصار الذى احرزه الأمريكيون فى الحرب وقد عرف الامريكيون ـ وهذا له اهمية أكبر مما قد يبدو لاول وهلة ـ كيفية مقاومة الملاريا ففى سنة ١٩٤٤ لم يعان منها الا ٣٪ من قوات ماك آرثر . وعندما تم الاستيلاء على انيوتوك كانت المهمة الأولى هى انشاء مطار ، وكان معنى ذلك اقتلاع النخيل الموجود فى مساحة ٢٥٠ فدان تقريبا وتسوية الأرض وتجميدها ، وذلك فى ثلاثة أيام ..

فى هذا النوع من الأعمال تفوق نحل البحرية وكان هذا النحل عبارة عن فرق من العمال مزودة تماما بالآلات تقوم باعمالها فور انزال الجنود ونتيجة لهذا التفوق الفنى لم يحدث قط أن طرد الامريكيون من أى مكان نزلوا فيه وكما اشرنا من قبل كانت خسائرهم قليلة

نسبيا ولم يحدث الا فى القتال العنيف جدا مثلما حدث فى تراوان كانت خسائرهم ربع خسائر اليابانيين يضاف الى هذا أن الأمريكيين فى الفترة الأخيرة لم يحاولوا قط النزول فى أى مكان الا بعد أن تقوم طائراتهم بضرب المكان الذى يريدون النزول فيه ليل نهار من الجو ومن البحر عدة اسابيع بحيث لا يشعر المدافعون بأمن نسبى الا وهم قابعون فى خنادقهم وحصونهم السميكة ..

ومن هذا الاستطراد فى الحديث عن التفوق الفنى الامريكى الذى يعتبر امرا لازما لفهم الحوادث فهما صحيحا نعود مرة اخرى لاستكمال حديثنا عن تاريخ الحرب ..

لقد وصلنا الى الوقت الذى احتل فيه نيمتز جزيرة بليليو ، احدى جزر مجموعة بالاو والوقت الذى احتل فيه ماك آرثر جزيرة موروتاى القريبة من جزيرة هالماهيرا ، احدى جزر مجموعة مولكاس وفى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٤ ، اقترب خطا الهجوم الامريكى بقيادة نيمتز وماك آرثر من الفلبين ولقد سبق لنا أن وصفنا عملية اعادة احتلال الفلبين وتبع ذلك النزول فى سامار ومندورو « فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ » و فى لوزون «فى يناير سنة ١٩٤٥» وتوجهت ومايو ، ثم تاراكان « فى أول مايو » وباليكبابان « فى أول يوليو » .

وقد خسر الامريكيون فى هذه الحملة ١٢ الف جندى ، وهى خسارة طفيفة نسبيا بالنظر الى الأهمية الضخمة لسقوط قلعة الفلبين بالنسبة لمجرى الحرب ولم تستطع قوات ياماشيتا وتعدادها ٤٠٠ ألف جندى وكذلك اسطول توجـودا الحيلولة دون سقوط الفلبين . وكان سويموتوجودا ثالث قائد عام للاسطول اليابانى وقد قتل القائدان السابقان أثناء القتال ، ياماموتو بالقرب من بوجانفيل فى شهر ابريل سنة ١٩٤٣ وكوجا فى مارس سنة ١٩٤٤ فى الفلبين . وقد سبق أن تحدثنا عن معركة الفلبين الثانية التى وقعت ما بين ٢٣ أكتوبر ــ ٢٥ أكتوبر وهى المعركة التى قام فيها القائدان

الأمريكيان كنكايد وهاللى بتغطية عمليــة انزال الجنود فى ليتينت ضد كتائب كوريتا ونيشيمورا ، وشيما واوساوا ..

وفى ذلك الشتاء نفســه طردت القوات اليابانية من بورما الشمالية وكانت القوا تالصينية تهدد طرق المواصلات البـــرية بين شمال شرقى الصين وجنوب شرقى آسيا ، وفى اقصى الغرب كانت القوات الروسية قد وصلت بالفعل الى الحدود الشرقية لالمانيا بينما كانت القوات الامريكية والبريطانية والكندية والفرنسية تندفع من الغرب الى داخل اراضى الرايخ نفسها ..

وكان لكل هذه الاحداث وخاصة غزو الفلبين وشمال اندونيسيا صداها فى المناطق المحتلة فى جنوب شرقى آسيا .. الم يوافق اليوم الذى اعلن فيه سوكارنو المبادىء الخمسة لاندوتيسيا الحــرة ، اليوم الذى تمت فيه عملية انزا لالجنود فى تاركان وباليكبايان ؟

وكان الأمريـــكيون قد استطاعوا أيضا حينــذاك ، تبسيط حملتهم بدلا من تركيز كل قواتهم المسلحة ضد القوات اليابانيةفى فورموزا والصين المحتلة وعن طريق الفليبين وجزر ماريانا تحول ماك أرثر ونيميتز الى الهجوم المباشر على اليابان نفسها .. واحتلت قواتهما جزيرة ايوو (ايوجيما) من ١٠ فبراير الى ١٦ مارس ــ احدى جزر ارخبيل اوجاسا وارا البركانية ، والتى تبعد ٥٦٠٠ ميل عن طوكيو ومرة اخرى قتل جميع المدافعين وكان عددهم ٢٣ الف جندى يابانى فى مقابل ١٠٪ من القوات الامريكية المهاجمةوفى الوقت نفسه (٩ مارس سنة ١٩٤٥) جاءت الليلة المرعبة التى تم فيها ضرب طوكيو بالقنابل (ودمرت القنابل ١٢ ميــل مربع من المدينة وقتلت ٨٠ الفا من سكانها) وكانت هذه الغارة بدايةالهجوم الجوى العنيف (مارس ــ أغسطس سنة ١٩٤٥) الذى دمر فيــه ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ منزل ، وقتل ٣٠٠ الف شخص (*)

ولم تتوقف الامور عند هذا الحد ففى شهر مارس ، ابحرت ٤٥٠ سفينة نقل امريكية من احد عشر ميناء من ليبيت الى ستيل الى

جزر ريوكيو شمال شرقي فورموزا وفي احد الفصح ، (اول ابريل سنة ١٩٤٥) نزلت أول دفعة من جيش تعداده ١٨٠ الف جندي على شاطيء أوركيناوا التي تقع على بعد ٣٥٠ ميل جنوب غـــربي كيوشو ، وكان وراءه ١٥٠٠ سفينة وكان امامه ١٢٠ الف جندي ياباني يقومون بالدفاع عن أوكيناوا اهم جزيرة محصنة في المحيط الباسفيكي و فاقت مقاومة اليابانيين المستميتة كل الحدود المعروفة وتدفقت الدماء سبعة أسابيع متوالية واخيرا أعلن ماك أرثر في ٢١ يونيو احتلال الجزيرة كلها وسقط ٧٨٧١ جندي ياباني في الاسر وسقط ١٢٫٥٠٠ جندي أمريكي قتلى ..

وبالاضافة الى عدد جنود الامبراطورية اليابانية الذين ابيدوا في اوكيناوا فقدت اليابان ٤٠٠٠ طائرة ـ وكان الانتاج الياباني من الطائرات اسبوعيا في ذلك الوقت ٤٠٠ طائرة ـ وكان الانتـــاج الياباني من الطائرات اسبوعيا في ذلك الوقت ٤٠٠ طائرة ـ تحطم نفسها في عمليات الاصطدام الانتحارية فوق سطح السفن الامريكية وكانت عملية الهجوم الانتحاري تعرف باسم كاميكادز (الـــرياح السماوية) تذكرة بالعاصفة الرهيبة التي اطاحت بالغزو المغـولي في القرن الثالث عشر ولكن خطر السماء في ســنة ١٩٤٥ كـــان مختلفا تماما ..

وكانت حكومة كويزو تقدر ذلك الموقف حق قدره . واحـدث ضياع أوكيناوا ازمة داخلية مثلما حدث عند احتلال ماريانا (سايبان) في صيف ١٩٤٤ ، وزاد الطين بلة اعلان الاتحاد السوفييتي في ٥ أبريل أنه لاينوي تجديد معاهدة الحياد ومدتهـا خمس ســنوات وهي المعاهدة التي انتهت مدتها في أبريل سنة ١٩٤١ . ويبدو أن اليابانيين لم يكونوا يعرفون شيئا عن الخطط الروسية للتدخـل في شرق آسيا وهي الخطط التي وضعت أسسها في مؤتمر طهران (سنة ١٩٤٣) وفصلت في مؤتمر يالتا (فبراير سنة ١٩٤٥) .

وفي ٧ ابريل وهو اليوم الذي غرقت فيه البارجة ياماتو (حمولة ٦٤٠٠٠ طن) أكبر قطعة حربية في التاريخ البحري جنوب غربي

كيوشو فى بحر الصين الجنوبى استقالت حكومة كويزو وتولى رياسة الحكومة الجديدة أدميرال بارون كانتارو سوزوكى أحد الشخصيات التى تنتمى الى جماعة الأحرار القدامى (٧ ابريل-١٥ اغسطس ١٩٤٥).

وقد حرصت اليابان خلال فترة الحرب كلها على الاتثير ثائرة روسيا ، والا تتحرش بها ، مع انها كانت على استعداد تام لمواجهة أى طارىء واعدت لذلك جيشا مزودا بأحدث الأسلحة فى مانشوكو وكانت تقارير اليابان عن تطورات الحرب بين روسيا والمانيا موضوعية . وفى مارس سنة ١٩٤٤ ، اعادت اليابان لروسيا حقوقها فى فحم شمال سخالين وبترولها فى مقابل تمتع اليابان بحقوق طفيفة خاصة صيد الأسماك فى البحار الروسية . وعندما اصبح شجنورى توجو ، وزيرا للخارجية ، اشارت الصحف كلها الى خبرته فى الشئون الروسية ومعرفته بالعقلية الروسية ، ووجدت فى ذلك أمرا جديرا بالتعقيب . كان توجو قد طلب منذ اوائل يناير وساطة الروس . وفى شهر مايو عندما استسلمت المانيا ، ارسل سوزوكى بتعليماته الى ساتو ، السفير اليابانى فى موسكو ، ان يجس نبض الكرملين مرة اخرى لمعرفة مدى استعداده لقبول الوساطة ، وفى ٢٠ يونيو وعندما انتحر القائد العام المسئول عن القوات اليابانية فى أوكيناوا بطريقة الهاراكيرى عرض الامبراطور نفسه ان يرسل احدى الشخصيات اليابانية الرسمية البارزة الى موسكو كضابط اتصال . وفى ١٣ يوليو توجه الأمير فوميارو كونو الذى تولى رياسة الحكومة من ١٩٣٧ الى ١٩٣٩ الى موسكو ومعه تعليمات بان يبرق الى الامبراطور بمضمون ما يمكن الحصول عليه وفى ذلك اليوم نفسه وصلت الى طوكيو انباء من ساتو ، السفير اليابانى فى موسكو ، تفيد أن ستالين ومولوتوف قد ذهبا الى برلين لحضور اجتماع الاقطاب الاربعة (الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتى والصين) وعقد هذا المؤتمر فى بوتسدام

(١٧ يوليو — ٢ اغسطس) ولم يجد الرؤساء المجتمعون أى وقت لبحث امكانيات اجراء مباحثات مع اليابان • ولم تكن مناورات طوكيو من الأمور السرية الا فى داخل اليابان نفسها فقد كتبت عنها كل الصحف الأمريكية والأوروبية •

ولم يبق فى ذلك الوقت من الاسطول الامبراطورى الذى بلغت حمولته حوالى ٠٠٠ر٣٠٠ر٢ طن سوى العشر (حوالى ٢٠٠ الف طن) وكانت سفن كثيرة فى حاجة الى الوقود • وكانت السفن التجارية القليلة التى بقيت سليمة مشلولة الحركة • وقد انقطعت كل المواصلات البحرية عن القوات اليابانية المعزولة فى الأماكن البعيدة من الامبراطورية (حوالى ٢٥٠ الف جندى فى أماكن مختلفة فى الباسفيك وحوالى ٦٠٠ الف جندى فى جنوب شرقى أسيا واندونيسيا واكثر من مليون جندى فى الصين) •

وكان سوزوكى يقود سفينة فى سبيلها الى الغرق بل غارقة فعلا قبل أن يحدث ماحدث فى هيروشيما وفى منشوريا وفى ناجازاكى بوقت طويل •

وما حدث كان القاء القنبلة الذرية وكى نقدر اهميتها لابد من الرجوع الى الماضى بعض الشىء •

ففى سنة ١٩٣٣ فر عالم طبيعى المانى ، يهودى ، من المانيا الخاضعة لسيطرة هتلر • وكان هذا العالم هو البرت اينشتين • وفى ٢ اغسطس سنة ١٩٣٩ كتب اينشتين خطابا الى فرانكلين روزفلت اكد فيه انه بعد ان اطلع فى المخطوطات على الاعمال الجديدة لجوليو كورى فى فرنسا وا. فري دل زيلار فى أمريكا اتضح له انه سوف يظهر الى الوجود فى وقت قصير اختراع جديد فى غاية الخطورة كنتيجة لتحطيم الذرة وعنصر اليورانيوم وناشد اينشتين الرئيس روزفلت ان يرقب هذا الاختراع بنفسه وباقصى مايمكن من اهتمام وعناية •

وهذا ما فعله روزفلت ففى نوفمبر سنة ١٩٤١ كان قد تم بالفعل صياغة النظرية فى كل من بريطانيا وامريكا • وقد حان الوقت وذلك لان وكالات الانباء كانت تذيع بالفعل التقدم الذى حققته المانيا فى هذا الميدان نفسه وفى خريف سنة ١٩٤٣اصبح العالم الطبيعى الامريكى المشهور ج٠ر٠ اوبنهايمر مديرا للتجارب الخطيرة وتم انشاء ثلاثة معامل فى اول بريدج فى تنيسى وفى هانفورد بواشنطون وفى لوس الاموس فى نيومكسيكو وفى معمل نيومكسيكو المعزول تماما استخدم ٤٠٠٠ من الفنيين المختارين بالاضافة الى العمال • وتكلفت عملية مانهان فى مجملها ٢٠٠٠ مليون دولار •

وفى ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ قبل عقد مؤتمر بوتسدام بيوم واحد فجرت أول قنبلة ذرية فى الساعة ٥ر٣٠ صباحا وتصاعدت اعمدة دخانها فوق صحراء نيومكسيكو باشكال لها طابعها المميز وفى ليلة ٥ر٦ اغسطس غادرت احدى قاذفات القنابل الامريكية من طراز ت٢٩ مطار تنيان فى جزر ماريانا وظهرت فى وقت مبكر من الصباح فوق هيروشيما فى هونشو الغربية وكانت قوة التفجير (يورانيوم ٢٣٥) تعادل قوة ٢٠ الف طن من مادة ت٠ن٠ت المتفجرة وقد جعلت اعالى المدينة اسافلها فى مساحة ٤ اميال مربعة وقتلت من سكانها الذين كان عددهم ٣٥٠ الف نسمة عددا يتراوح بين ٦٠ الف و٨٠ الف فرد •

وفى ٦ اغسطس وهو اليوم الذى قام فيه سوكارنو وحتى برحلتهما الى الهند الصينية اسقطت قنبلة ذرية ثانية (من البلوتينيوم وهى الوحيدة التى كانت عند أمريكا) فوق ناجازاكى وفى ذلك اليوم نفسه دخلت القوات الروسية منشوريا ، وكانت روسيا قد اعلنت الحرب على اليابان قبل ذلك بيوم واحد ••

وقد دافع الحلفاء عن استخدام القنبلة الذرية على اساس

أن استخدامها هو الذى أنهى الحرب . وهناك الكثير مما يمكن أن يقال فى معارضة ذلك الرأى . وان ماحدث فى هيروشيماوناجازاكى كان بمثابة بداية الحرب الباردة بين روسيا والولايات المتحدة فان التدخل الروسى كان تحقيقا لوعد بذله الاتحاد السوفييتى للولايات المتحدة وبريطانيا وكان قرار استخدام القنبلة الذرية قد حفظ سرا لاتعلم به روسيا ومع ان روسيا لم تعلق بشىء ، على ذلك ، الا أن استخدام القنبلة الذرية أعطى الروس دوافع التشكك من ان استخدام هذه القنبلة كان ايضا تحذيرا لهم بان يضعوانصب اعينهم ان اخطر سلاح فى الوجود موجود فى يد الغرب . ومهما يكن من امر فانه صحيح ان القنبلتين الذريتين هما السببالرئيسى لهذا التسليم فقد ابدت اليابان فى ١٠ اغسطس استعدادها للاستسلام بعد ان ظهر لها ان الامبراطور لن يضار وان التاج لن يصاب بأذى . ووصلت هذه الأنباء الى الولايات المتحدة والصينعن طريق برن ، والى روسيا وبريطانيا عن طريق استكهولم . وارسلت الدول الاربع ردها فى ١١ اغسطس وابرقت طوكيوفى١٤اغسطس بان اليابان على استعداد للموافقة على كل القرارات التى وصلاليها مؤتمر بوتسدام ..

وفى ١٦ اغسطس ، وحوالى الساعة ٤ مساء أصدر الامبراطور أوامره بوقف اطلاق النار فى جميع انحاء الامبراطورية ، وتوجه الأمير كانين الى جنوب شرقى آسيا وذهب الأمير ازاكا الى الصين والأمير تاكيدا الى مانشوكو للاشراف على تنفيذ أوامر الامبراطور. وفى ٢١ أغسطس استسلم جيش كوانتونج للروس وفى ٢٨ اغسطس نزلت طليعة القوات الامريكية فى الأراضى اليابانية بين طوكيو ويوكوسوكا

ووقعتالوثيقة الرسمية للاستسلام فى الساعة التاسعةمنصباح اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٤٥ بتوقيت طوكيو ، فى مقصورة

قائد الفواصة الأمريكية ميسورى فى خليج طوكيو،وكان أول الموقعين هو مامورو وزير الخارجية وتلاه يوشيديورو اوميزو رئيس هيئة أركان حرب الجيش الامباطورى والقائد العام السابق لجيش كوانتونج ثم وقع ماك ارثر بصفته القائد العام فى شرق اسيا وتلاه نيمتيز بصفته القائد العام للاسطول الامريكى • ووقع جنرال سويونج ـ شانج بالنيابة عن الصين ثم تلاه مندوبو بريطانيا وروسيا واستراليا وكندا وفرنسا وهولندا ونيوزيلنده وارسلت صورة من الوثيقة الى اليابان واخرى للولايات الامريكية المتحدة ••

وفى صباح ذلك اليوم الأغبر اختفت تلك الرؤيا التى بدت فى الأسابيع المحمومة بين شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ وشهر مارس سنة ١٩٤٢ كانها فى سبيلها الى التحقيق وتحول ذلك البناء الشامخ الذى اقامه استعماريو اسيا الى منزل من ورق ••

وطردت المانيا نتيجة للحرب من تلك المناطق التى استمرت محسوبة من الاراضى الالمانية لاكثر من ثلاثة قرون مثل بروسيا وسايليزيا الشرقية ، وفقدت ايطاليا ليبيا وارتيريا ••

وكان على اليابان كذلك ان تترك الى جانب الاراضى التى استولت عليها فى الصين وجنوب شرق اسيا ، المناطق الكثيرة الاخرى التى اعترفت بها الدول قبل الحرب على انها اراض يابانية وهى كوريا وفرموزا وكوانتونج وكارافوتو (جنوب سخالين أو جزر الكدرايل والجزر الواقعة فى الجزء الجنوبى من المحيط الهادى

وبالرغم من ذلك كله فانه لم توجد دولة فى تلك الحرب سعت الى تغيير آسيا ومجرى التاريخ اكثر مما فعلت اليابان ••

وقد أوضحت اليابان ، فى الوقت المناسب ، أنه بينما الاستعمار الغربى يقف حائلا دون تحرر جنوب شرق آسيا ويسعى الى منع حدوث أى تغيير حقيقى فى تلك القارة فان اليابان جعلت

من الضرورى احداث تغيير أساسى وجوهرى ، لقد طرد الشيطان حقا واصيبت مناطق شرق آسيا بالخراب والدمار ، ولكن الهند وباكستان وسيلان وبورما وسيام واندونيسيا تحررت بالفعل من السيطرة الاستعمارية وشبه الاستعمارية .

هل كان عند القادة العسكريين فى جيش كوانتونج عندما أرسلوا فى صباح يوم ١٧ سبتمبر المتجهم بالسحب سنة ١٩٣١ أية فكرة عما يخفيه المستقبل .

الجزء الاخير من آسيا المعاصرة

الطريق الى باندونج

يصدر يوم الخميس ٢٥ يونية سنة ١٩٦٤

كتب صدرت من سلسلة كتاب التحرير السياسى

(١) سقوط الامبراطورية

تأليف : ادريس كوكس

ترجمة : محمد رشاد خميس

(٢) آسيا المعاصرة

الجزء الأول : يقظة العملاق

تأليف البروفسير رومين

ترجمة : يوسف صبرى ـ عاطف الغمرى

الجزء الثانى : أفول الغرب

تأليف البروفسير رومين

ترجمة : احمد عادل

الجزء الثالث : الفعل ورد الفعل

تأليف البروفسير رومين

ترجمة : سامى حسن سرى

الجزء الرابع : أصداء الثـــورة

تأليف البروفسير رومين

ترجمة : نجيب سوس

كتب قادمة

الرأسمالية
امس واليوم

أرض الخطايا
فى جنوب افريقيا

تجربة الثورة
فى الجزائر

الصين الجديدة

ثورة غينيا
والتقدم الاجتماعى

كفاح السود
ضد التفرقة فى أمريكا

رياح الثورة
فى أمريكا الجنوبية

تطور الفكرة الاشتراكية

القاموس السياسى

الثمن ١٠ قروش وخمسة قروش لقراء الجمهورية

مطابع شركة الاعلانات الشرقية